كنيسة الروم الشرقية
بازاء
المجمع المسكوني الفاتيكاني

تأليف

حضرة الاب فرنسيس كوترله اليسوعي

قد استخرجه من الافرنسية
المعلم جرجس زوين
الفتوحي الماروني اللبناني
تلميذ مدرسة غزير العامرة



طُبع بمطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٨٦٩

* المقدمة *

* بسم الاله الواحد الاحد *

سبحانك يا من اتصفت قائماً بالوحدانية . فكنت الهاً واحداً احد . وارسلت ابنك الوحيد فكان الوسيط الاكبر الاحد . فطهّرنا بمياه عماد واحد . وضمّنا اليه بايمان واحد . فبني كنيسته الواحدة على بطرس رأسها الواحد . فكنا له شعباً اميناً واحد . سبحانه من راعٍ امين اتبع الضالة تاركاً التسعة والتسعين . سبحانه من فادٍ فريد بذل نفسه دون خرافه سافكاً لاجلها دماه . وانفجر قلبه الطاهر فكان ينبوع حبه ونعماه . فيا قلباً طعنت لاجل جنسنا . ادخلنا اليك لنكون جميعنا بك واحد . فنرتع بحظيرة الخراف الواحدة وتكون الرعية كلها لراعٍ واحد *

اما بعد هاك امراً يهم العالم اجمع . امر سوف تضمّه صحف التاريخ بين اشهر واغرب . واهم واعجب حوادث الجيل التاسع عشر . وهذا الامر يجري الآن امام اعيننا . فان خليفة بطرس الصفا على سدّة رومية العظمى . اعني به ذلك الحبر النبيل الذي فريد صفاته وشرف فضله وقداسة حياته . وعظم بلاياه وكثرة نكباته وسمو شجاعته وعلو همته جعل الناس ان تشير اليه بالبنان . بل وجعله ممتازاً لدى اعداء البيعة انفسهم . فهذا الحبر الاعظم بيوس التاسع المالك سعيداً قد استدعى جميع الاساقفة الكاثوليكيين الى جمعية احتفالية مخلّدة

الذكر . تلك التي تكون فيها المداولة على خير ابناء الله الروحي . وقد دعى قداسته الى هذا المجمع ايضاً سيادة الاساقفة المنفصلين عن شركة الكنيسة الرومانية . اولئك الذين ينطوون تحت شريف اسم مسيحيين ويعترفون بيسوع المسيح انه ابن الله . وانه مخلّص البشر *

فكان هذا المجمع لدى قداسة الاب الاقدس اسهل طريقة واعظم واسطة لمحو انقسام ممقوت يحزن قلب المخلّص . ويمزّق احشاء البيعة المقدسة . وكثيراً ما يسبب هلاك انفس مفتداة بثمن دم يسوع المسيح *

فمن المعلوم هو انه لدى الاعلان بهذا المجموع . السياسة قلقت . والارطقة ارتعدت . والجحيم نفسه هاج واضطرب . وما الذي يهمّنا من ذلك . فان المسيح مع بيعته فتسير متقدمةً الى ما قدام . وما ومن هو الذي يوقفها عن سيرها *

فقد امتثلت الاساقفة الكاثوليكيون برغبة واحترام لصوت بيوس التاسع الحبر النبيل . ولم يصدّهم شيء عن سرعة الحضور لديه . فداسوا بارجلهم جميع المشقات ولم يبالوا بصعوبة الطرق وطول الطرقات . داسوا اخطار الابحار . ولم يعبأوا بالامراض والاضرار . وها انه بعد قليل ينعقد مجمع كثير العدد وجزيل العظمة والاحتفال لم يكن مثله منذ انشاء الكنيسة الى الآن *

لكننا لا نعلم ان كان من بين الاراطقة والطوائف غير المتحدة يوجد اناس فيهم حب كافٍ للحق . ومقتنعون به .

اقتناعاً شديداً يحملهم على الحضور ليكونوا بين اركان هذه الديانة المسيحية . لكننا نعلم حسناً ما لا يجهله من يقف على هذه الرسالة . وما نبيح به . والاحشاء تتمزق غماً وكدراً من اخوتنا المنفصلين عنا . وهو ان غبطة البطريرك القسطنطيني الذي هو مستحضر الانفصال الاعلى ولسان حاله الاكبر . قد نادى علناً ضد هذا المجمع وصرح تصريحاً رسمياً بعدم قبوله الدعوة . لا بل ارتأى غبطته ان مبادي قداسة الاب الاقدس بيوس التاسع تضاد كمال المضادة لمبادي الكنيسة الارثوذكسية . وتضاد روح الانجيل وتعاليم المجامع المسكونية والاباء القديسين الكرام . وبناءً عليه لا يستطيع غبطته ان يقبل مثل هذه الدعوة ولا مثل هذه الكتابة . ومن ثم رفض قبول رسالة البابا . لكنه مع ذلك قد اقرّ معترفاً بانه منذ عشرة اجيال كانت توجد كنيسة في رومية القديمة والجديدة تقرّ بالعقايد ذاتها المقبولة شرقاً وغرباً . فوالحالة هذه فلنرجع الى تلك الاجيال ونبحث فنرى من هو الذي ازاد ومن هو الذي حذف *

وقد قال غبطته ايضاً : انه لا يمكننا ان نعدّ مجمعاً مسكونياً كنيسة عامة وحقاً كاثوليكية الاّ الجمعية المقدسة التي مجرداً عن عدد اعضائها بقي فيها تعليم الرسل ومعتقد كل كنيسة بذاتها نقياً خالصاً لم يشوبه عيب : *

اخيراً غب ان صرّح غبطته ضد عصمة البابا وضد رياسة الكنيسة الرومانية اورد ضد مجمع فلورنسا حججاً سوف نبحث عنها فتتضح قوتها وقيمتها *

فبناءً عليه قد ابى غبطة البطريرك القسطنطيني الحضور الى المجمع . وحيث ان غبطته قد دخل في المسائل التعليمية . فلا بأس من ذلك فاننا نتبعه في هذا الميدان . وقد ارتأى ان مبادي البابا تضاد روح الانجيل . فمن ثم اننا نبحث عن ذلك بحثاً مدققاً . وقد استند على التاريخ . فاننا نسمع صوت هذا التاريخ . وقد اراد ان نستشير المجامع السبعة المسكونية . فاننا نورد شهاداتهم . وقد استدعى رأي ابآء الاجيال الثمانية الاولى . فاننا نترك الكلام الى هؤلاء الاباء الكرام . وقد ارتأي ان مجمع فلورنسا لا يستحق اسم مجمع مسكوني . فاننا نجعل القاري ان يحكم على ذلك وفاقاً للصواب *

فمن ثمَّ قد اتضح الآن السبب الذي لاجله قد لقبنا هذه الرسالة : كنيسة الروم الشرقية بازاء المجمع المسكوني الفاتيكاني : فاين هو الحق . واين هو الضلال . اين هي الكنيسة الحقيقية . فالوقوف على هذا انما هو من اخصّ اهمياتنا ومن ثمَّ هذه كانت غاية الرسالة الحاضرة . فلا يخشينَّ القاري من وجود مقابلات مكروهة ولا من وجود ما يدق بالاشخاص وبالمحبة الذاتية . على ان التعليم وحده يشغلنا والبحث عن الحقيقة وحدها يهمّنا . فنتكلم عن ذلك بروح السلامة واللطف . واذا ما كنا نسقنا هذا التأليف على اسلوب الرسالات . فما ذاك الَّا لان هذه الطريقة لاحت لدينا بغاية الموافقة . وذلك حفظاً لرسوم

الحب والاحترام اللذان هما من سمات مباحثات حبّية
يبحث فيها عن الحق فقط. الرسوم التي قصدنا عدم تجاوزها
في سياق هذه الرسالة *

* رسالات *

* تتجه نحو من كان في حضن الانشقاق *

* الرسالة الاولى *

ايها الحبيب

قد طلبت مني بعض ايضاحات عن مسائل تعليمية تفصل الكنيسة المدعوة ارثوذكسية من الكنيسة الرومانية او الكاثوليكية . واظهرت كمال الرغبة متمنياً غاية المنا سقوط الحواجز الفاصلة اولئك الذين ينطوون تحت اسم واحد اعني به شريف اسم النصرانية . ذلك الذي شأنه ان يتحدهم دائماً وابداً بايمان واحد وحب واحد *

فحسن ثقتك بي وخلوص حبي الصادق نحوك لا يدعاني ان اتخلص من عناء يعلو على ضعفي . لاسيما حيث اني ارى الظروف الحالية بغاية الموافقة لاجابة سؤولك . لا بل وانها تؤكد لنا حسن الثمرة والنتيجة فلا يكون العنا فارغاً *

فكم من مرةٍ لدى مشاهدتي كثيرين من اهل الاعتبار في حال الانشقاق قد حزنتُ متأسفاً على وجودهم ومولدهم فيه . ورفعت ادعية حارّة للجودة الالهية عسانا نشاهد ذلك اليوم السعيد الذي يضمنا جميعًا في حظيرة واحدة تحت سلطة راعٍ واحد . فهذا اليوم المبتغى ليس هو بعيد منا على ان المناداة بمجمع مسكوني يلتئم فيه جميع الذين يحبون الحق ويطلبونه

بقلب نقي وارادة مستقيمة تأتي بانوار كوكب صبحه البهي *

فمن المعلوم لدينا ايها الحبيب انه يوجد من جماعتكم كثيرون لا ينطوون تحت لواء الانشقاق الّا على سبيل الظاهر وان نيتهم السليمة تعذرهم نوعاً امام الله تعالى . فكم من مرة قد قيل لي انه لا فرق بيننا وبينكم . بل اننا جميعنا واحد واننا لسنا منفصلين من بعضنا سوى بمسائل عرضية لا معنى لها *

فاننا سوف نبيّن لك في سياق الكلام ما هو الحق وما هو الخطاء في مثل هذه المسائل. وقد لاح لي بان مثل هذه الاقوال تدل صريحاً بانه كثيراً ما يوجد في مصاف المشاقين اناس غير متمسكين صوريا بالانشقاق . حتى انهم لا يعرفون على اي شيء يتوقف هذا الانشقاق . ومن ثمّ لا يكونون مشاقين الّا ظاهراً وعلى سبيل العرض *

فاقناعاً لمثل هولاء الانام الحايدين عن الطريق بدون قصد ومعرفة تكفي الانارة وحدها . ومن ثمّ فاني على نوع خاص اوّجه نحوهم هذا البحث المشروع معك ولاجلك . لكن لا يبرح من ذهننا ايها الحبيب باننا نفتقر اولاً الى الانوار الالهية لكي نعرف الحق . ونحتاج الى النعمة السماوية لكي نعتنقه . ولاجل ذلك يجب علينا ان نقرن روح الاستقامة بصدق التوكل والتضرعات . ملتمسين المساعدة من لدنه تعالى . فانه لا ينكرها على طالبيها *

فلئلا يمل المطالع قد اعطينا تأليفنا نسق رسالات . ولخّصنا فيها تلخيصاً مفيداً مسائل تهم كل عاقل يبتغي الفائدة ويروم

تأكيد خلاصه . فنسأله تعالى حسن التوفيق ملتمسين من احسانه ان لا يكون مسعانا عقيماً . بل ان يأول الى ارتداد كثيرين من اخوتنا الاحباء الى حضن الراحة والسلام. وانشأ الله انك تحصّل منه الفائدة المبتغاة لنفسك . هذه هي بغية محبك الصادق *

* الرسالة الثانية *

انه حفظاً لقوانين التأليف ينبغي اولاً ان نبيّن ما معنى لفظة انشقاق . وعلى اي شيء يتوقف الانشقاق . ثم اننا نتسلّح بالتاريخ ونبحث مدققين لنعرف ايما كنيسة قد ارتكبت الانشقاق واتسمت به . ثم نتكلم عمّا يجب فعله من كل مشاق يبتغي خلاص نفسه ويهتم بامر ابديته *

قال القديس توما شمس المدارس : انه يُدعى مشاقين اولئك الذين ينفصلون من وحدة الكنيسة (٢ — ٢ م ٣٣ ف ١٠) * فمن ثم يقتضي اولاً معرفة حقيقة الكنيسة الذي ينفصل عنها المشاقون لكي ندرك على ايما شيء يتوقف الانشقاق . اما الكنيسة فهي عبارة عن جماعة المؤمنين الذين يؤمنون معترفين بحقيقة ايمان يسوع المسيح تحت سلطة رعاة شرعيين اقامهم المخلّص الالهي لذلك . والحال ان هذه الجمعية المؤسسة من ابن الله هي جوهرياً واحدة . وقد اخصها المجمع القسطنطيني العام بسمة هذه الوحدة حيث قد حدد قائلاً : أومن بكنيسة واحدة : *

فكل مرة تكلم الرب في انجيله الطاهر عن الكنيسة نراه قد استحضرها لنا متسمةً بهذه السمة . فقد شبهها الى مملكة والى عائلة وحظيرة وبيت ومدينة وجسد . وقد اعطى لها دايماً وفي كل مكانٍ معنى الجمعية والالفة . وفي الوقت ذاته معنى الوحدة ايضاً . وقد تشخصت لدينا هذه الكنيسة تحت هيئات مختلفة . فهكذا اننا نعترف اجمعون باله واحد * وهذا الاله هو واحد احد (افسوس ص ٤) * وبرب واحد (افسوس ص ٤) * ووسيط واحد * ان الوسيط بين الله والناس واحد (تيموثاوس ص ٢) * ولسنا جميعنا سوى جسد واحد سري تحت سلطة رأس واحد (رومية ص ١٢) * وليس لنا الّا روح واحد (افسوس ٤) * ونشترك برجا واحد وقبلنا معمودية واحدة (افسوس ص ٤) * ونتخذ حيوة النفس من قوت واحد (قرنتية اولى ص ١٠ ع ١٧) *

لكنه مهما اشتدت الوحدة بين ابناء الله بقوة هذه النسب العديدة فانها توجد نسب اخرى توطّد توطيداً قوياً وحدة الجمعية الدينية . وتكون على نوعٍ ما جوهرية . وهي اولاً اعتقاد جميع الافهام بحقايق واحدة اي بايمان واحد . ثانياً خضوع ارادة جميع المؤمنين لمبادي واحدة . اي لآداب واحدة . ثالثاً امتثال كل اعضاء هذه الجمعية لسلطة واحدة . وهذا الضرب الاخير من الوحدة شأنه ان يصون الاولين ويوقيهما . لانهما بدونه لا يدومان مدة مديدة . على انه من الممتنع حفظ وحدة الايمان بين كثرة عقول مختلفة . ومن

الممتنع ايضاً حفظ قداسة الآداب في القلب رغماً عن مصادمة الشهوات بدون وجود سلطة كبرى مطلقة تستولي بامره تعالى استيلاءً فعّالاً على الفهم والارادة وتحفظهما بثبات مكين في هذه الوحدة التي هي سمة جوهرية للحقيقة الالهية . فهذه هي ايها الحبيب محاسن الوحدة وسموها في جمعية اناس احرار عقلاء . لعمري انه لا اجمل وابهى ولا اتقن واكمل من ان يُعطى لجميع الافهام قاعدة واحدة ولكل ارادة ومشيئة شريعة واحدة . وان يخضعا لسلطة واحدة الهية تستولي على الضمائر وتثبّت جميع الافهام في الحق . وكل ارادة في الخير . فهذه هي وحدة الكنيسة . فسياق هذه الرسالات تبيّن لنا هذه الحقيقة تبياناً جلياً . وما نورده من البراهين شأنه ان يسربلها بنور الايضاح . اما الآن فاننا نتنج منها بعض نتايج لا تخالف مقصدنا ولا تخرج عن موضوعنا *

فالكنيسة الحقيقية اعني بها كنيسة يسوع المسيح هي واحدة . فاياها وحدها قد احبّ . ولاجلها وحدها بذل نفسه * ليقدسها مطهراً لها بغسل الماء بكلمة الحيوة (افسوس ص ٥ ع ٢٥) * فهي وحدها تؤلف جسده السرّي . الجسد الذي المسيح نفسه هو رأسه (افسوس ص ١ ع ٢٣) * ومع هذه الكنيسة اوعد ان يكون الى الانقضا (متى ص ٢٨ ع ٢٠) * واياها بنى على اساس وطيد الذي هو بطرس الصخرة غير المتزعزعة . ولهذه الكنيسة اوعد بالعصمة . فابواب الجحيم (اي قواته) لا تقوى عليها . فلها يجب ان يُشكي من الخطاء والاضاليل . وبها

وحدها يختص الحكم على المخالفين والتصريح بشجب الضالين *

فان لم يسمع منك قل للبيعة . وان لم يسمع من البيعة فليكن عندك كوثني وعشار (متى ص ١٨ ع ١٧) * وعلى هذه الكنيسة قد أُقيم بطرس الراعي الاول * ارعَ خرافي . ارعَ نعاجي (يوحنا ص٢١) * لان الرعية واحدة تكون لراعٍ واحد (يوحنا ١٠) * فلرأسها قد أُعطيت كل سلطة * ولك اعطي مفاتيح ملكوت السماوات . كل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماء (متى ص ١٦ ع ١٩) * فهذا الرأس هو الذي قد أُقيم ليثبّت اخوته (لوقا ٢٢ ع ٣٢) * فخدمة هذه الكنيسة هم الذين قد أُقيموا موزعين الاسرار المقدسة (قورنتية اولى ص ٤) باسم المخلص * فهم الذين قد ايتمنوا على الاسرار الالهية وعلى الذبيحة المسجود لها وعلى كنوز النعم غير المتناهية وكنوز سر الفدا . فلهم قد قيل * اذهبوا وعلّموا جميع الامم علّموهم حفظ كل ما اوصيتكم به (متى ص ٢٨ ع ١٩) *

اخيراً هذه الكنيسة وحدها هي عامود الحق واساسه (تيموتاوس اولى ص ٣ ع ١٥) * هي التي اولدها المسيح بمياه المعمودية ليقدّسها ويكللها بالمجد (افسوس ص ٥ ع ٢٧) * هي التي قبلت رجاء وعربون الارث النقي الذي لا يبلى ولا يتدنس ولا يضمحل . المعدّ لنا في السماء (بطرس اولى ص ١ ع ٣) *

فهذه هي الامتيازات التي اعطاها المسيح لبيعته . فلا تستطيع كنيسة اخرى ان تنسبها لذاتها . افرحوا اذاً وتهللوا يا ابناء

البيعة المقدسة . فبهذه العلامات تستطيعون ان تعرفوا انكم ، لانها علامات لا تليق بسواها ولا تستطيع كنيسة غيرها ان تدّعيها لذاتها بدون تعدّي وبهتان . فالكنيسة هي واحدة ولا تشترك معها كنيسة اخرى بتلك الصفة المقدسة ، اعني بها صفة عروس الحمل تلك التي قد أُعطيت لها من يوحنا البشير (رؤيا ص ٢١) * ولا يشترك معها غيرها بالمحبة التي يحبها بها عروسها (افسوس ص ٥ ع ٢٥) * ولا يشترك معها غيرها بالكنوز غير المتناهية التي ايتمنها عليها عروسها لاجل تقديس ابنائها . الكنوز التي هي مهرها وصداقها *

فلربما تقول لي ايها الحبيب انك تسلّم بوحدة الكنيسة . لعمري وهذا مما يفعمني سروراً . فاننا نرى فيما بعد ان كنت تفهم الوحدة على ما نفهمها ، او ان كنت تفهمها على ما يعلّمها التقليد ، ومن ثمّ حذراً من ان نتيه في هذا الامر الجزيل الاهمية فكان من الصواب ان نعتمد على تعاليم الاباء القديسين وعلماء البيعة الكرام ، ولا غرو ان تعاليمهم تهدينا الى حقيقة الكنيسة وخاصّياتها . فوالحالة هذه سِر بنا الى ما قدام لنصل الى الحد المقصود . واولاً فلندركنّ جيداً ما هو الانشقاق ليتضح معناه لديناً . لكن اعلم حسناً ان المسئلة ليست بان نعرف من هو المشاق منا . او ان يتهم احدنا الاخر بالانشقاق . بل اننا نتامل المسئلة الآن تأملاً عاماً ولا نلتفت الى تخصيص المبادي التي عتيدون ان نضعها . وبه كفاية الان . فثق ايها الحبيب بخلوص اعتبار محبّك الصادق *

* الرسالة الثالثة *

ايها الحبيب *

ان المسئلة التي يجب علينا ان نشتغل بها الآن هي ان نعرف ما هو الانشقاق . فالانشقاق معناه انفصال . قال المعلم الملائكي توما شمس المدارس : انهم يُعدّون مشاقين اولئك الذين ينفصلون طوعاً واختياراً عن وحدة الكنيسة ويرفضون طاعة رأسها ويأبون الابقاء في شركة المؤمنين الذين هم اعضاوها : * فينفصل الانسان عن الكنيسة بالانشقاق والارطقة . قال القديس ايرونيموس : انه بين مشاق واراتيكي فروقات . فالاراتيكي ينفصل عن الكنيسة متمسكاً بمعتقد كاذب اما المشاق فينفصل عن الكنيسة بسبب اختلاف في التهذيبات لكونه يأبى الخضوع للراعي الاعلى : قال القديس اغستينوس : ان الاراتيكي يخطي ضد وحدة الايمان معتقداً بالضلال . اما المشاق فبدون ان يضاد الايمان تضاداً مستقيماً مع ذلك فانه ينفصل ممن كان اساس الكنيسة ومركز الوحدة . ومن ثمّ قد يوجد الانشقاق بدون ارطقة صوربة لكنّ شأنه ان يقيد اليها طبعاً : قال القديس ايرونيموس : انه ما من انشقاق الّا ويخترع ارطقة ما تبريراً لانفصاله عن الكنيسة : *

وكأني بك تسألني في هل يجب ان نضع في منزلة واحدة راعياً متكبراً رفع راية الانشقاق وخرافاً خضوعة اتبعته في تمرّده . ذلك الذي ولد في حضن الكنيسة واغتذى بتعليمها وجحد امّه طوعاً واختياراً . وذلك الذي لسوء

حظه ولد مشاقاً. ذلك العالم الذي بعلومه ومطالعته باتصالياته ومعاطاته توصّل الى معرفة ما كان قوياً وضعيفاً في الانشقاق الذي يتمسك به . والرجل الساذج الامي العاري من العلم والمعرفة . ولا يدرك الجدال ولا المباحثة . بل ولا يحسن التمعّن بالامور . ذلك الذي يعيش في بلادٍ فيها اختلاط الطوائف ووجود المشاقين والكاثوليكيين معاً يوقظ الافكار طبعاً ويُعطي محلاً للمقابلة . ويلقي الشك والارتياب في العقول . وذلك الذي يقطن بلاداً لا كاثوليكيين فيها . ومن ثمّ لا تمكّنه الفرصة ان يقابل مذهباً باخر وكنيسةً باخرى . اخيراً اب العائلة المتقدم سناً وتعقلاً والولد الذي لم يبلغ اشده . أهل ينبغي ان نضم هولاء جميعاً في سلك واحد *

لعمري ان هذه الملاحظة التي قد يسهو عنها كثيرون لاحت لديّ بغاية المناسبة والصواب. وقد سررت من حسن نباهتك حيث قد فطنتني بذلك من بداية هذه المباحثة التي شأنها ان تُبنى على صدق المودّة وخلوص الطوية. وحقاً انه ما من شيء شأنه ان يزعج الافهام وينفّر القلوب نظير ارتباك الافكار . وهذا من شأنه ان لا يأتي بانوارٍ تنير العقل . بل بظلام يشوش البصائر . وما ينتج من حكم يحكم به على الجميع بدون افراز الاّ الاشتباه بمبالغة وغلو شأنه ان ينفرّ القلوب ويبعدها بدلاً من ان يقرّبها ويضمها لبعضها *

ومن ثمّ اجتنابا لمثل هذه المحذورات اخذت باسهاب بعض تلخيصات عن تعليم الكنيسة في هذا الامر المهمّ. لكنهّ لا

يبرح من ذهننا ما هي الكنيسة . فقد قلنا آنفًا انها جماعة المؤمنين الذين يؤمنون معترفين بحقيقة تعليم المسيح تحت سلطة الرعاة الشرعيين المقامين من المخلص الالهي . ولكي يكون الانسان عضواً في الكنيسة يجب عليه اولاً وبدءًا ان يكون مؤمناً اي ان يكون من ابناء الله بالمعمودية *

لعمري ترى لماذا تعتبر الناس قليلاً هذه النعمة الجليلة . فكم وكم من الناس لا يميّزون بين طفل معمّد وبين من كان غير مؤمن . فيا للفرق العظيم بين كليهما . على ان نعمة التقديس المقبولة في المعمودية تتحد النفس اتحاداً تاماً بيسوع المسيح . فبهذا السر يضحي الانسان عضواً من جسده السري وغصناً من تلك الكرمة السرّية الذي شبه بها المسيح نفسه في انجيله الطاهر قائلاً * انا هو الكرمة وانتم الاغصان (يوحنا ص ١٥) * فنسبة الرأس الى اعضاء يحييها . والغرسة الى اغصان تأخذ منها المائية هي عين نسبة المسيح الى النفس . فمن هنا تجري النعمة كمن ينبوعها وتسبق وتصحب وتلحق كل فعل صالح . فمن هنا يتأتى استحقاق الافعال الصالحة التي اذ كانت اثمار النعمة استحقت من ثم المجد الابدي (المجمع التريدنتيني جلسة ٢ فصل ١٦) *

فاني اكرر قائلاً انه لكي يكون الانسان عضواً للكنيسة يجب عليه ان يكون مؤمناً معمّداً . لكنه بما ان الكنيسة هي ايضاً جمعية منظورة ظاهرة حسب طبيعة الاعضاء التي تؤلفها . فمن ثمّ لكي يكون الانسان من اعضائها يجب عليه ان يدخل في

هذه الجمعية ويُقبل فيها ويحفظ شرائعها ويخضع لروسائها *

ولهذا وقع هذا التمييز المسلّم عموماً بين نفس الكنيسة وجسدها . فبناءً عليه لكي يختص الانسان بنفس الكنيسة يكفيه الحصول على نعمة التقديس المعطاة للاطفال بالمعمودية . لكنه لكي يختص بجسدها ويكون عضواً من هذه الجمعية فيجب ايضاً اما ان يكون ولد في حضنها نظير طفلٍ كاثوليكي . واما ان يكون دخل ضمنها طوعاً واختياراً ويكون من ثمّ عضواً من هذه العائلة الدينية *

فنتج من هنا اولاً . ان جميع الاولاد الذين ولدوا في حضن الارطقة والانشقاق وقبلوا مع ذلك سر المعمودية ولم يكونوا بلغوا اشدّهم انما يختصون بنفس الكنيسة . على انهم بقوة سر المعمودية المقدس قبلوا النعمة المقدسة واتحدوا بيسوع المسيح بما انه رأسهم . وحيث لم يبلغوا سن التمييز فلم يفقدوا هذه النعمة المقدسة . فاذاً ليسوا صوريًا لا مشاقين ولا اراطقة . على انهم ولو اختصوا بالارطقة او الانشقاق مولداً . لكنهم لا يعتقدون به باطنًا . وليسوا اراطقة او مشاقين الاّ بالاسم فقط *

ثانياً . يختص ايضًا بنفس الكنيسة ولم يزالوا من اعضائها جميع الذين ولدوا في ديار المشاقين او في عائلة مشاقة وقبلوا المعمودية المقدسة ويجهلون جهلاً تاماً ما يتوقف عليه الانشقاق ويطلبون الله بقلب بسيط وارادة مستقيمة عائشين بنية سليمة *

انه من باب الضرورة ان نحدّ ونعرف النية السليمة التي بموجب رائينا تعذر الانسان من خطية الانشقاق وتجعله ان

لا يكون مشاقاً الاّ ماديًا وظاهراً لا حقيقةً وفعلاً . فهذه النية السليمة التي لا يمكن وجودها الاّ في نفس بسيطة ساذجة مستقيمة قليلة العلم امية لا مخبرة لها بالناس . تفترض اولاً تعلق تام بالتعليم المقبول منها بثقة تامة . وخضوع عقل كامل وعدم اشتباه بالانقياد الى الخطا والضلال . وتفترض ثانياً . انه بعد تعلّقها هذا لا يخالجها شك ولا ريب بنقاوة ايمانها وسلامته وبصحة الكنيسة المنطوية تحتها وبسلطة الرعاة ولاة امرها وبعصمة تعليمهم . فعلى هذه الحال والفرضية قد يكون فعل الايمان . او بالحري تعلّق النفس بما أُعرض عليها ناقصاً حيث قد خاسها الموضوع الصوري والسبب الكافي للايمان . فمع ذلك لم تتغير الفضيلة والملكة الفائقة الطبيعة في مبداها . لكون الارادة لبثت ولم تبرح خلوصة مستقيمة *

لكنه متى خالج النفس شك وارتياب تتغير حالاً النية السليمة وتنخفض بحسب ظهور الشك . فتيقظ الافكار يتطلب التمعن والصلوة . وحينئذٍ يلتزم الانسان بالبحث حيث انه لا يمتلك الحق بتأكد واطمئنان . فالقديس اغوسطينوس قد اثبت هذا التعليم اثباتاً عجيباً في رسالة وجهها راساً الى الدوناتيستيين وهي الثالثة والاربعون من رسائله اذ يقول : انه لا شك ولا ريب بان الرسول قد نبهنا قائلاً « ان الرجل المارق اذا وعظته مرة ومرتين فاجتنبه واعلم ان من كان هكذا فهو متعنّت خاطيء وهو مشجب بقضاء نفسه (طيطوس ص ٣ ع ١٠ و١١) *

لكنه من كان ذا رأي يضاد الحق وقد تمسّك به لا تكبراً

واعتماداً على عقله بل أخذه عن ضلال والديه . فان كان هذا يدافع عن رأيه لا عصياناً على الحق . بل تمسكاً بما يظنه انه الحق وهو مستعد للاعتقاد بالحق ان بان له الحق . فهذا ليس من الصواب ان نحتسبه اراتيكياً . اه *

فيمكننا ان نستنتج من ههنا . اولاً . ان النية السليمة يسهل افتراضها في من لم يبلغ سن التمييز . ولا يمكن حفظها وثبوتها زماناً طويلاً *

ثانياً . يجب على النفس التي هي على هذه الحال ان تكون امينة جداً نحو النعمة والصلوة فانها تأتي بالنور الالهي *

ثالثاً . ان الخطية المميتة التي يرتكبها المشاق بعد بلوغه سن التمييز هي كافية لفقد نعمة الله وخسران حيوة النفس . لكنها لا تكفي لتفصل النفس فصلاً تاماً من الكنيسة ان لم تكن هذه الخطية فعل خيانة وكفر *

رابعاً . ان الجهل الذي يعيش فيه كثيرون من المشاقين . ذلك الذي قد يكون توصّل بهم الى هكذا درجة حتى انهم يجهلون الحقائق الجوهرية للخلاص . واسرار الديانة الاساسية . فهذا الجهل انما هو شقاء عظيم وبلاء جسيم . بل وخطر كلي على خلاص النفس . لكنه ليس هو بذاته فعل صوري اختياري يفصلها فصلاً تاماً من الكنيسة ويجعلها مشاقة او اراتيكية . ففي هذه الحال لا تفعل النفس افعال ايمان حقيقية موجبة . كما وانها لا ترتكب ايضاً فعل كفر حقيقياً موجباً *

خامسًا . لكنّه اذا ما افتكر من كان على هذه الحال وخامره شك بانه يجب عليه ان يرتشد، وانه بسبب جهله هو ضمن خطر الاعتقاد خطاءً وضلالاً . واذا ما لحظ الفرق الموجود بين طايفتين ديناً ورأى ضرورة الاستنارة والانتخاب . فحينئذٍ يمتنع ان تلبث النية تامة . فلا يبقا لصاحبها اذاً وجه يبرره . ومن ثم فاصراره على جهله يكون اقل او اكثر جسامة بحسب قلة او كثرة قوة التنوّر وتبكيت الضمير *

سادسًا . اذا ما كان الشك صوابيًا واتضح وجوده برهانًا يضحي صاحبه اشد ذنباً بتهاونه وعدم التفاته الى البحث عن الحق والاكتشاف عليه . لاسيما حيث ذلك مما يهمّه جداً ويلاحظ خلاص نفسه وامر ابديته *

سابعًا . فيتوصّل الخطاء والذنب الى اعلى درجة اذا ما عرف الانسان الكنيسة الحقيقية المؤسسة من المخلص له المجد . وتأكد بانه على ضلال ومع ذلك بقي مصراً في الانشقاق *

فبموجب هذه المبادي تُعتبر درجة الذنب في المشاق . ومن ثم قد اتضح السبب الذي لاجله يُعدّ الانشقاق اثماً جسيماً . وعُرف من هم الذين يقعون تحت هذا الاثم ويرتكبونه . هذا واننا في رسالتنا الاتية نبحث عن ذلك مفصلاً . وبهذا الان كفاية . وثق ايها الحبيب بخلوص مودة محبك الصادق *

الرسالة الرابعة

ايها الحبيب *

انه في رسالتنا الاخيرة رغبةً باجتناب كل ما من شأنه ان يربك الافكار ويُنسب الى المبالغة والغلو قد حصرت مقيالي في معنى لفظة مشاق . فقد اتضح من ذلك بان هذه الصفة لا تقع حقيقةً ومعنىً على الذين ينطوون ظاهراً تحت لواء كنيسة مشاقة . وقد نتجنا مما بيّناه بان الانشقاق هو بلاء جسيم على البعض . وهو ذنب وخطاء على غيرهم *

فهو ذنب وخطاء اولاً على الذين خامرهم شك صوابي نظراً لوجودهم وحالهم في الانشقاق فتقلق ضمائرهم وتضطرب وتخاف وترتعد . ومع ذلك لا يتخذون طريقة للاستنارة والارتشاد . ورغماً عن تبكيت ضمائرهم يرقدون في جهلهم الذميم . فيخاطرون بامر خلاصهم الابدي . ثانياً . انه لذنب عظيم واثم جسيم على الذين يعرفون حق المعرفة ويتأكدون حق التاكيد بانهم خارجون عن الكنيسة الحقيقية ومقتنعون غاية الاقتناع بانهم يلتزمون بترك الانشقاق . ومع ذلك تراهم مستعبدين للضلال ومرتبطين به برباط الارباح والاطماع والشهوة والاميال *

فالانشقاق على هتين الحالتين يكون مقبولاً من المشاق طوعاً واختياراً ومصادق عليه ظاهراً او مضمراً . ومن ثمّ تلبث ارادته مصرّة عليه بقصد وانتباه رغمًا عن تبكيت ضميره وتوبيخه

والحال ان هذا لا يمكن حدوثه بدون خطاء . لانه انما هو فعل ارادة صريحة تبتغي ان تلبث منفصلة عن كنيسة يسوع المسيح وتستقر خارجةً عن حضنها *

اولاً . ان هذا الانفصال الطوعي يتضمّن عصاوةً صوريةً على يسوع المسيح الذي يأمرنا بان نسمع من الكنيسة نظير استماعنا له . والذي يعدّ الاهانة المتجهة ضد خدامه انها متجهة ذاتياً ضده *

ثانياً . هذا الانفصال في ذاته ومبداه لا محل له الّا لكون المشاق يفضّل حكمه الذاتي على حكم الكنيسة . وعلى هذه الصورة نرى المروّس يشجب رئيسه والولد امه ويحاول الارتفاع فوقها . امّا ان هذا التصرّف هو دعوى لا تحتمل وكبرياء لا مغفرة لها *

ثالثاً . ان الانفصال عن كنيسة المسيح هو عين خلع نير سلطة المسيح . هو عين التمرّد على هذه السلطة . هو قطع الرباطات التي تتحد اعضاء الجمعية براسها . هو من قبل الفاعل ونظراً لمقصده هدم اساسات البناء المبني من يسوع المسيح *

رابعاً . ان الانفصال عن الكنيسة بالانشقاق هو عين الانفصال عن شركة المؤمنين . هو نفي المشاق ذاته واخراجها من العائلة المسيحية . هو تركه الخيرات الروحية التي هي خاصة هذه العائلة حيث لم تعد الكنيسة امه . ولم تعد اولادها اخوة له . وبناءً على القول الالهي لم يُعدّ ذلك المشاق نظراً اليهم الاّ وثنياً وعشاراً *

خامساً . ان الانفصال عن كنيسة يسوع المسيح بالانشقاق هو عين الانفصال عن يسوع المسيح ذاته . لانه عبثاً يعلل المشاق نفسه بآمال فارغة . وباطلاً يدّعي اتحاده بمخلصه الالهي اذا ما انقطع عن كنيسة هذا المخلص . قال القديس امبروسيوس : من لا تكون الكنيسة امه فلا يكون الله اباه : *

سادساً . فمما يثقل ايضًا خطية الانشقاق هو انها من ذات طبعها جهارية وذات شكك . على ان التمرّد على سلطة الكنيسة هو مثل ردي واغراء اعضاء العائلة المسيحية على العصيان . لا بل انها خطية تتوارث خلفاً عن سلف . وكأنها ضرب من الخطية الاصلية *

سابعاً . ان الانشقاق كما قدمنا القول آنفاً من عادته ان ينتهي بارطقة بل وانه يقود اليها طبعاً . والحال ان الارطقة تهدم الايمان وتعدم المسيحي ينبوع الحيوة الروحية . فما الذي يبقا للشجرة اذا ما يبس اصلها متلاشياً . وما الذي يبقا للنفس متى تلاشى فيها الايمان مع المحبة والطاعة *

فلربما كثيرون من اخوتنا المنفصلين عنا يجدون هذه النتائج قوية صارمة تشوبها مبالغة وغلو . على انهم يرتأون بان ما يفصلنا من بعضنا هو امر طفيف ولا طائل تحته . فيقولون ما تلك الا مسائل اصطلاحية لا توصّل الى انفصال جوهري *

فلا التفت الآن الى هذا المشكل فأنه سوف يأتي في محله . اما الآن فاننا نضع المبادي . وفيما بعد نرى تخصيصها وتوقيعها *

المسيح قد اسس كنيسة واحدة . واحدة في الايمان . واحدة في المحبة التي تربط اعضاءها فيما بينهم . واحدة بالسلطة برأسهم الاعظم . فهذا ما قلناه في الرسالة الثانية وهو امر لا يشوبه ريبٌ البتة *

قد قلنا ان الانشقاق هو فعل ينفصل به المسيحي طوعاً واختياراً . او انه يلبث منفصلاً طوعاً واختياراً عن الكنيسة الواحدة الحقيقية . فهذا الانشقاق هو خطاء . لانه تمرّد على السلطة الالهية . وجرحٌ قتّال للمحبة . وفعل يقيد طبعاً الى هدم الايمان . هذا ما قلناه وليس له مضاد . وهذا ما اثبتناه الان . ثم نبحث بعده مفتشين اين يوجد الانشقاق . والى حين ذلك التمس الاجازة لابيّن لك حقيقةً اخرى قد اعتنينا عنها آنفاً . وهو انه هب ان الانشقاق لا يكون خطاءً نظراً لبعض الانفس . فمع ذلك هو شقاء عظيم وبلاء جسيم . وهذا هو موضوع رسالتي الاتية . فثق الآن بخلوص مودة محبك الصادق *

* الرسالة الخامسة *

ايها الحبيب

قد قلنا انه لكي يكون الانشقاق خطية يجب ان يكون اختياراً او صادراً عن جهل مصنّع او اثيم . او عن شك يعرفه المشاق ويهمل البحث عمّا هو الحق . او عن اقتناع بموجبه يعرف المشاق ذاته انه على ضلال . فنتج من

هذا بانه بحصر المقال لا يمكننا ان نحكم بالانشقاق على ولد معمَّد قد ولد في حضن الانشقاق ولم يبلغ سن التمييز ، ولا على من بلغ سن التمييز وبقي مشاقاً بنية سليمة . فكلاهما قد تطعّما بالمعمودية بيسوع المسيح وقبلا الايمان المفاض ولم ينفصلا طوعاً واختياراً عن يسوع المسيح ليعتنقا الانشقاق فينهدم فيهما الايمان المفاض . وان كان وجودهما في عائلة مشاقة وبلدة مشاقة ليس هو ذنب نظراً اليهما . فمع ذلك اقول انه لشقاء عظيم وبلاء جسيم . ولا شك انه يسهل عليك ادراك هذا السبب *

فبا لحقيقة ما هي حال ولد قد ولد مشاقاً . وما هي حال كل انسان يعترف ظاهراً بالانشقاق وهو على نية سليمة . فحاله حال طفل رضيع القته الاقدار بعيداً عن اهله واخوته ولم تدعه ان يرضع ثدى امه الحقيقية . وما تربّى في حضنها لانه لم يعرفها ولم يجالس بين عائلته فيذوق افراحها . على انه لما بلغ سناً ينمو فيه العقل والقلب . ويخطو فيه الفهم الخطوة الاولى في ميدان المعرفه وتتقدم الارادة في ميدان الفضيلة . فكان بدون هادٍ امين وصديق صدوق . كان بدون اب فسار بطرق مجهولة نحو مستقبل مجهول . وفي حال ضعفه وعجزه لم يوجد من يحامي عنه مدافعاً ضد اعداء الداء لا يحصون عدداً . ولم يكن له مداوي لامراض نفسه *

فلا شك انك قد ادركت مقالي ايها الحبيب . مع ذلك اني ازيدك ايضاحاً ليتضح المعنى لديك . ان تدبير العناية

الالهية في نظام الامور الفائقة الطبيعة التي شاء تعالى وضعنا فيه، هو ان كل خير انما يأتينا من يسوع المسيح وان هذا الخلاص الالهي يجعلنا ان نتمتع بهذا الخير بواسطة الكنيسة وفي حضن الكنيسة . فهي حقاً امّنا ونحن اولادها . فاذاً هي التي ينبغي ان تربينا تربية مسيحية بعد ان نكون صرنا مسيحيين بالمعمودية المقدسة . وهي التي ينبغي ان تعطينا لبن الحق ثم خبز الحق في اوانهما . لان لها قد قيل : علّموا جميع الامم : فاياها ينبغي ان نتخذ في هذا العالم الشقي دليلاً وهادياً في سبيل الحيوة . ومشيراً في حال الشك والارتياب . فيخصها ان تدافع عنا ضد اعداء خلاصنا على انها هي المدينة المبنية على جبل تلتجي اليها ابناؤها . ويخصها ان تداوي كلوم انفسنا بالاسرار المقدسة وتردّ لنا الحيوة الروحية اذا ما لسوء الحظ كنا فقدناها . ففي حضنها وباعتنائها ينمو الولد ويتقدم في معرفة الخلاص . ففي حضنها وباعتنائها يتوطد الرجل في وسط الحروب ويلبث في الطريق المودية الى السماء . ففي حضنها وباعتنائها يتعزّى الشيخ ويتشجع عند اخر حياته . فهي التي تدخله الى ابديته بعد ان تكون اهّبته واعدّته لها *

فبتبياني لك ما يجده ابن الكنيسة الحقيقية في حضنها قد عرفت ما يخسره من كان منفصلاً عنها وتأكدت عظم بلائه . وبالحقيقة اولاً . لا رعاة شرعيين خارجاً عن الكنيسة وفي حضن الانشقاق . فاذ كان هولاء الرعاة بدون رسالة الهية وبدون مساعدة خصوصية تنتج عن هذه الرسالة فما العجب اذا ما

كانوا محصاً اجراء يطلبون قبل كل شيء ارباحهم ونفعهم . ولا ينشغلون انشغالاً جدّيًا بخلاص الانفس . فيتركون الولد ان يمكث في حال الجهل . ويتركون الرجل بدون محاماة في حين هجمات الشهوات . ويهملون الشيخ لاسيما اذا ما كان فقيراً ولا يفتكرون باحتياجاته وباحتماله وبالايباه . وبمستقبل يتطلب المساعدة التامة *

ثانيًا . خارجًا عن الكنيسة وفي حال الانشقاق لا سلطة شرعية تستولي امر الايمان وتوقي وقاية فعالة من الخطاء والضلال . فاذ كانت كنيسة يسوع المسيح هي عامود الحق واساسه . فكل من كان منفصلاً عنها لا يمكنه ان يؤمل حفظ الايمان الحقيقي . فما الذي يصنعه بدون هادٍ ومدبر في حال سفره في اوقيانوس هذا العالم . حيثما تهجم عليه العواصف الشديدة . ويصادف صخوراً يلتطم عليها . وتحيق به ظلمات مدلهمة . فعقله يحاكي سفينةً تلاطمها الامواج وورقة تلاعبها الارياح المضادة . تراه يرفض اليوم ما سلّم به امس . حتى انه يعيي اخيراً من انتقاله من ضلال الى ضلال فيأبي اخيراً كل اقتناع ويرقد في حال عدم الاكتراث والالتفات . ومن ثم لا يمكن ان تحفظ وحدة الايمان في حضن الانشقاق حيث لا سلطة معصومة تدبر امر الايمان . نشدتك الله قل لي . أما ان هذا شقاء عظيم وبلاء عظيم *

ثالثًا . لكن هناك ما يقتضي ان يخشى ويخاف منه خوفًا شديداً . بل وما يجب على كل مشاق ان يمعن النظر

به اعتناءً خصوصياً . فهب في الولد وفي المشاق بنية سليمة وجود احسن استعداد واجمل تأهب . وهب وجود حيوة كلية النقاوة والطهر . فانه عاجلاً او آجلاً تاتي اوان الشهوات وزمان التجارب بل وساعة السقوط . فاذا ما خاصا من مخاطر الارطقة ترى هل يخلصان من الخطية المميتة . لعمري لا نقدر ان نفترض ذلك تعقلاً . فوالحالة هذه ترى ما يكون حال النفس التي وقعت تحت عبودية الخطية والشيطان . ففي كنيسة المسيح يوجد دواء كلّي الفاعلية . دواء مُعدّ دائماً . سهل الاستعمال وفعّال النتيجة وهو سر التوبة المقدس . فهذه الواسطة المعدّة من رحمة المخلص لاولاد بيعته المقدسة لا وجود لها لمن كان مشاقاً *

وايضاحاً لذلك فنقول . انه يقتضي امران لمنح سر التوبة . اولاً سلطان الدرجة المُعطى بقوة الرسامة . السلطان الذي يملكه جوهرياً كل من قبل درجة الكهنوت . ثانياً سلطان التصرف المنوط جوهرياً بسلطان الكنيسة والمُعطى من الروساء الشرعيين لا غير . اي نعم توجد الرسامة الكهنوتية حتى وفي نفس حضن الانشقاق ورغماً عن الارطقة ايضاً . لان الاسرار تأخذ مفعولها طبعاً بقوة الرسم الذي رسمه الرب . ولان الخادم ما هو الا آلة . اما سلطان التصريف فلا وجود له في الكنيسة المشاقة . لان هذا السلطان لم يُعطَ الّا لكنيسة يسوع المسيح لان لها وحدها قد قيل: ولك اعطي مفاتيح ملكوت السماوات . فكلّما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما

حللته على الارض يكون محلولاً في السماء : *

فاذاً عبثًا يبرز الكاهن المشاق كلام الحلّ . فلا تصرّف له ولا سلطة على المذنب . فلم يقبل من يسوع المسيح بواسطة كنيسته السلطان الضروري للحلّ . فمن ثم كان السر باطلاً ولا مفعول له . وعبثًا يتوهم التائب بانه قبل الحلّ من ذلك الكاهن . لانه لا توجد الّا حالة واحدة يكون فيها هذا الحلّ من يد الكاهن المشاق صحيحًا وهي متى أُعطي عند ساعة الموت . ففي هذا الحادث حقيقةً . لكن في هذا الحادث وحده بسبب الضرورة القصوى التي يكون عليها المنازع . يستطيع كل كاهن ان يحلّ حلًا صحيحًا سواءً كان بقوة السلطان الاصلي المُعطى له بالرسامة الكهنوتية او بقوة تصرف خارج العادة مُعطى له من قبل كنيسة يسوع المسيح ومقرّ ومشهود به من التقليد ومن التعليم الكاثوليكي . لكنه فليكن معلومًا بانه خارجًا عن هذا الحادث لا حلّة صحيحة من لدن الكاهن المشاق *

فوالحالة هذه اني اسأل كل من يهمّه امر الخلاص ويعرف عظم ضعف الطبيعة . أما ان هذه هي حالة تعيسة مشومة على المشاقين . اي نعم انه تبقا لهم واسطة ابراز فعل محبة كاملة وانسحاق تام . لكن ليت شعري هل ان عموم المؤمنين يدركون ذلك ويبرزون هذه الافعال حسب مقتضاها . مع انه لا توجد طريقة اخرى سواها لترجيع النعمة المفقودة *

فقصارى الامر من كان مشاقًا بنية سليمة ولم يرتكب خطاءً مميتًا بوجوده خارجًا عن عائلة المسيح لا يقدر ان يقبل اعتناء

امه الكنونة ولا ان يتمتع بالخيرات الروحية التي توزعها على ابنائها باسم المخلص . ولا وجود في حضن الانشقاق لمعلم مفوّض السلطان لكي يعلمه الحق ورعاته هم اجراء دخلاء وقادة نفسه عميان . فتراه ملقى بين ايدي اعدائه ولا اسلحة معه ولا من يدافع عنه . ثم ابتعاد سر التوبة عنه يجعل كلومه عديمة الشفاء *

فهذا كافٍ لتبيان ما اوضحناه . وقد تأكد عندنا ان الانشقاق شقاء عظيم وبلاء جسيم . حتى وعلى الذين لا يُحسب عليهم خطاءً وذنباً *

ومن ثم قبل نهاية الكلام نقول . اولاً . ان النية السليمة التي افترضناها في بعض الاحداث المشاقين اسماً لا حقيقةً وفعلاً يعسر التسليم بها في البلدان المختلطة حيثما اشتهر المذهب الكاثوليكي مما في البلدان المشاقة محضاً . حيثما لا وجود لمقابلة المذاهب . ومن ثم تعسر حركة الشك والارتياب لاسيما في الانام الاميين الذين لا يعرفون سوى بلادهم ولا اطلاع لهم على هذه المسائل الدينية *

ثانياً . واننا لا نخشى القول بان الذين يلبثون متمسكين بالانشقاق ظاهراً بنية سليمة اذا ما حفظوا وصايا الله حفظاً مدققاً . واكملوا واجبات حالهم فلا بد من ان يقبلوا الانوار والنعم التي يحتاجون اليها لكي يلبثوا متحدين بيسوع المسيح ويضحوا اخيراً اعضا كنيسته في آنٍ ونوع تشاهما مشيئة المخلص الالهي . وحيث قد اسهبنا المقال بهذا الشأن فاننا ننهي

رسالتنا الحاضرة باهدائك عواطف خلوص المودة الصادرة من محبك الصادق *

* الرسالة السادسة *

ايها الحبيب

فما الذي عملناه الى الآن . اننا قد بيّنا اولاً ان يسوع المسيح قد اسس كنيسته واحدةً . ثانياً قد بيّنا على ايما شيء يتوقف الانشقاق الذي هو انفصال عن كنيسة المسيح . وقلنا ثالثاً ان هذا الانشقاق ان كان اختيارياً فهو ذنب واثم . رابعاً وانه لا يخلو من ان يكون شقاءً عظيماً وبلاءً جسيماً وان لم يكن طوعياً اختيارياً *

فقد اتضحت هذه القضايا اتضاحاً بيّناً جلياً يوقيها من كل منازعة وجدال . وعلى ما يخال لي اننا الى الان على ما ينبغي من اتفاق الاراء . فان كان ظني في غير محله فعليك ان تبيّن لي من المسائل المتقدم ذكرها ما يتطلب اكثر بياناً وايضاحاً وما لاحت لك براهينه غير كافية . لانه في البحث عن الحقيقة ينبغي التقدم بترتيب ونظام . على ان كل صخرة نضعها تأخذ قوتها من الصخرة المبنية فوقها وتكون اساً وطيداً لما يُبنى عليها . ومن ثم توطيداً لهذه الحقائق وقفنا عند المبادي وابقينا تخصيصها وتوقيعها الى ما يأتي بعده *

وكأني بك قائلاً لي . لقد حان الاوان فلندخلنّ الى التخصيص ومن ثم اين هي كنيسة يسوع المسيح . واين هي تلك الكنيسة

التي تدعوها مشاقة . فهذا ما تطلبه مني . ولا شك ان هذه من اهمّ وادرك المسائل المقصودة في هذا التاليف . وقد حان اوان البحث عنها . ومن ثمّ زيادةً للايضاح اننا نتكلم عن هذه المسائل واحدة فواحدة وبترتيب يليق بها . ونبيّن الحقيقة تبياناً واضحاً جلياً *

فاولاً أما قد اقرّ لا الغربيون فقط بل والشرقيون ايضاً بان الكنيسة الرومانية كانت قبل الانشقاق السدة الاولى ومركز الوحدة وينبوع السلطة الكنائسية وام سائر الكنائس ومولاتها . فهذا ما نشرع بالبحث عنه اولاً *

فلا غرو انك تعلم حسناً عظم ضرورة هذه المسئلة . فانه لا يعسر علينا ان نوضحها لك ايضاحاً جلياً . ولاشك انه لم يبرح من ذهنك ما جرى منذ اشهر قلايل لما قداسة الحبر الروماني ارسل كتابة لغبطة البطاركة وسيادة الاساقفة المنفصلين دعاهم بها الى المجمع *

فاضحت البطريركية القسطنطينية في هاجس عظيم وقلق جسيم في هل يليق قبول هذه الدعوة . فلا شك ان قبولها من الامور الصوابية جداً منه لاسيما لانه ينتج عن هذا البرهان الجلي . وهو إما اننا محقون ومن ثم كان من الواجب علينا ان نبيّن الحق لمن يجهله . او اننا غير محقين ومن ثم كان الواجب علينا ان نبحث عن الحق الذي لا نعلمه بل ويجب ان نعتنقه مقرّين به . لعمري لما كان اجمل واحلى من ذلك *

لكنه عوضاً عن هذا الجواب الذي لا بد من ان يكون

املاء قلوب جميع المؤمنين سرورًا واوعب الكنيسة حبوراً وآمالاً . فلم يكن لهذه المسئلة الاَّ وجهان . امَّا سكوت وصمت او جواب سلبي مضافٌ عليه التبرير . فلربما كان السكوت مخطراً . لكن لعمري لكم قد اضحى عدمه اشدّ خطرًا . لقد كان يمكن تأويل السكوت سوءًا لكن ليت شعري أما ان الكلام المصرّح به علناً على روس الملا اضحى سلاحاً يقتل من فاه به . لقد كان أُعدّ الصمت جبانة . لكن لعمري أما يكون التكلم عدم فطنة مشومة وذنب لا يغفر امام جميع الارثودوكسيين . ان من الحوادث والاحوال ما هو هكذا دركًا حتى انه لا يمكن الخروج منه بدون السقوط في وهدة عظيمة . هذا ما قد اتفق لغبطة البطريرك القسطنطيني . الامر الذي يهون علينا تبيانه *

وليكن مرجوعنا الآن الى كتابة البابا. فقد كان الجواب عليها بكتابة اخرى ظهرت اولاً في المياومة الرومية القسطنطينية (١١ تشرين اول سنة ١٨٦٨) * وقد ادرجتها في هذه الايام مياومات اخرى كثيرة . ففي هذه الكتابة اظهر غبطة البطريرك القسطنطيني عجبه من دعوةٍ بموجبها يرى اسقف رومية اقام ذاته (وذلك زورًا على رأي غبطته) نائب السيد المسيح وخليفة بطرس رئيس الاساقفة . فانكر غبطته صريحًا هذه الدعوى . وانكر على حبر رومية رياسة السلطان وأبى كل تداخل في المجمع المزمع *

ففي كلِ هذا لم نرَ عجباً . ولم نرَ ما يعسر علينا فهمه . بل

ولم نرَ حقيقة ما يضحى خطراً على صاحب الجواب . لكن نشدتك الله . اسمع ما يأتي وتأمل كلمات غبطة هذا البطريرك الجليل القائل : ان الديوان الاعلى للتعليم المسيحي هي السبعة المجامع المسكونية التي صارت حتى الى الجيل الثامن . ثم اباء تلك الاعصار شرقيين كانوا او غربيين . فهولاء هم الطريق الحقيقية التي يمكنا ان نلتقي عليها بقبلة اتحاد المعتقد المقدسة . وكل من يسير خارجاً عن هذه الطريق نعدّه عارياً عن الحق لان يجمع حوله اعضاء الكنيسة الارتودوكسية : *

فاذاً غبطة البطريرك قد استغاث بالسبعة المجامع المسكونية التي صارت حتى الجيل الثامن كاستغاثته بديوان التعليم المسيحي الاعلى . وقد استغاث ايضاً باباء تلك الاعصار شرقاً وغرباً . فبهذه المجامع وبهولاء الاباء يمكنا ان نلتقي بقبلة مقدسة في اتحاد المعتقد . فمن ثم اني اعتمد على هذه الكلمات شاكراً احسان من قد تفوّه بها . فان كانت هذه الكلمات خلوصية على ما افترض . لا غرو ان غبطته قريب من الحق ولا يبعد من انه يقرّ معترفاً برياسة الحبر الروماني . وان كان جميع اعضاء الكنيسة الارثودوكسية يمضون على تقرير غبطة البطريرك القسطنطيني فامر الاتحاد هو اقرب مما تفتكره الناس عموماً *

وبالحقيقة ان كانت هذه المجامع المسكونية المعدة ديواناً اعلى للتعليم المسيحي تقرّ جلياً وتنادي علناً برياسة اسقف رومية وبسلطانه العام . مسندةً ذلك على شهادة الانجيل وعلى الحق

الالهي . ان كان اباء تلك الاعصار اوليك الكواكب المتلالئة كواكب الكنيسة الشرقية يتفقون مع اباء وعلماء المغرب في تعليم حقيقة واحدة . فاذا ما رأيناهم هم ذواتهم يطلبون اجراء هذا السلطان لتسكين العواصف التي كانت تخرب قطعانهم . مكلّفين الاحبار الرومانيين لزيارة الكنيسة المسلّمة لهم . وذلك بموجب السلطان الرسمي الذي اعطاه المسيح لبطرس وكخلفائه . فاذا ما اوردنا اثباتاً لهذه الحقيقة ادلّة صادرة من تلك الينابيع ذاتها المستغاث بها وشهادات عديدة صادقة واضحة صحيحة يقف عندها كل انتقاد . أما يصح القول حينئذٍ اننا نكون رفعنا صخرة الشك التي كانت سبباً للانفصال وهدمنا المانع الوحيد الذي يحجز اتحاد الكنيستين معاً *

فهذا ما اتجاسر واعداً به واعاهد عهداً صريحاً باثباته . لا بل واني اتقدم قائلاً بان لا استطاعة لجميع علمائكم لان يعارضوه بشيء صوابي *

فالمسئلة على ما قدمناه هي جزيلة الاهمية . ففيها مسئلة حيوة او موت . فمنها يصدر ضرورةً تبرير انشقاقكم او شجبه . فان اثبتنا بان رياسة الحبر الاعظم قبلتها واقرت ونادت بها في الاجيال الثمانية الكنيسة عموماً المستحضرة في المجامع المسكونية العامة . وان مشاهير علماء الشرق والغرب علموها . فنكون نحن المحقون بموجب رأي غبطة البطريرك المومأ اليه . لاننا استناداً على ديوان التعليم المسيحي الاعلى وتتبّعاً لاثار الاباء القديسين على طريق سلكوها ورسموها لنا في تآليفهم

عتيدون ان نلتقي في قبلة اتحاد المعتقد المقدسة . فاني استدعي الآن من اهل كل منزلة ورتبة منكم العلما الخائفين الله تعالى والانام الذين يبتغون معرفة الحق ويقصدون اعتناقه متى اتضح لديهم . اني استدعيهم الى هذا البحث الذي يهمهم غاية . ولا اطيل الكلام حذراً من القاء الملل لكنني مع ذلك يكون كلامي مستوفي الشروط ارضاءً لرغبتهم . فابيّن هذه الحقيقة تبياناً يبهر نظر الاخصام انفسهم . واوطدها توطيداً لا يقبل الرد . ومن ثم هاك ترتيب كلامنا . فاولاً نذكر على وجه الاختصار الشهادات المقدسة التي كانت اساً لتعليم المجامع وتعليم الاباء . ثانياً نصغى لصريح صوت المجامع المسكونية . ثالثاً . نعتمد على اقوال اباء الكنيسة لاسيما الشرقية وعلمائها . وقبل ان نأخذ بتبيان ذلك لا بأس اذا ما وقفنا هنا لحظة . هذا ونهديك مواجب اكرام محبك الصادق *

* الرسالة السابعة *

ايها الحبيب

فلنصغينّ اولاً لقول مؤسس الكنيسة وبانيها . لعمري ترى من هو الذي يمكنه ان يعلمنا احسن منه ما قد صنعه ويفهمنا ما اراده وقصده . فواضحة هي للعيان الشهادات المقدسة المبني عليها تعليم رياسة بطرس وخلفائه الاحبار الرومانيين . فانها هكذا بيّنة جليّة من ان تحتاج الى زيادة ايضاح . ومع ذلك فاننا ناخذ بتبيانها ولو على سبيل الايجاز *

فالآية الاولى هي من بشارة متى البشير. انه لما اعترف بطرس بلاهوت يسوع المسيح قائلاً : انت هو المسيح ابن الله الحي: فاجابه يسوع قائلاً *طوبى لك يا سمعان بن يونا انه لا لحم ولا دم اظهر لك ذلك لكن ابي الذي في السما. وانا اقول لك ايضاً انك انت هو الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها. ولك اعطي مفاتيح ملكوت السما. ومهما تربطه في الارض يكون مربوطاً في السماء ومهما تحلّه في الارض يكون محلولاً في السماء (متى ص ١٦ ع ١٦ — ٢٠) *

فهذا الكلام اولاً توجّه خاصةً نحو بطرس دون غيره من الرسل. على ان يسوع خاطب ذلك الذي كان يُدعى سابقاً سمعان بن يونا ذلك الذي دعاه بطرس قائلاً وتدعى الصفا . ثانياً ان المواعيد التي وعد بها المخلص الالهي تدل بانها كانت جزاءً عن الاعتراف بذلك الايمان. وهذا الاعتراف كان من بطرس. ثالثاً ان هذا الكلام اتجه نحو ذلك الذي طوّبه يسوع المسيح قائلاً: الطوبى لك يا سمعان: رابعاً واخيراً منعاً لكل لبس في الكلام حصر تعالى مقاله وعيّن الشخص فقال . لك اقول . ولك اعطي. وعليك كعلى اساس وطيد ثابت ابني بيعتي . انت الصخرة وعلى هذه الصخرة . فهذا تلميح واضح بيّن لذلك الاسم الجديد الذي كان اعطاه لسمعان قائلاً له : تدعى الصخرة : لان في اللغة السريانية التي تكلّم بها الرب لفظة صفا تدل على الاسم العلم والنكرة . انت الصفا (كيفا) وعلى هذه الصفا (كيفا) . ومن ثم لا يمكن تبيان هذه المواعيد

وتخصيص بطرس بها على احسن بيان وايضاح *

ثانياً . هل ان هذه المواعيد تتضمن الرياسة وسلطان التولّي *
اي نعم انها تتضمن ذلك بدون شبهة ولا ريب . على ان بطرس قد شُبّه حقيقةً بأساس يستند عليه البنا : على هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لا تقوى عليها : ليت شعري ما هي وظيفة اساس البناء . لا شك انما هي حال وجوده وثباته . لان كل بناء شأنه ان يستند على اساس ويركن اليه . فنسبة الرأس الى الاعضاء قياماً للجسد . ونسبة الاب للاولاد قياماً للعائلة . ونسبة الملك لرعيته قياماً للمملكة هي عين نسبة الاساس لحجارة البنا قياماً لذلك البناء *

فاذاً ان كان بطرس هو اساس الكنيسة فلا الكنائس الخصوصية التي هي جزء لها . ولا المؤمنون ايضاً مهما كانوا يمكنهم ان يؤلفوا ويقيموا كنيسة كاثوليكية بدونه وبدون سلطانه الذي به يشرع الشرائع ويحسم الاختلافات ويثبّت بالقصاصات والعقاب اجراء سلطانه . لا بد منه *

وزد على ذلك ان بطرس قد أُعطي مفاتيح ملكوت السماوات . فمن المعلوم هو ان المفاتيح عند جميع القبائل والشعوب هي علامة السلطة والخاصية . فمتى سلّمت المدينة المحاصرة لمن فتحها فتعطى له مفاتيحها . وذلك اقراراً له بانه اصبح سيدها ومولاها وتقدمةً لواجبات العبودية نحوه . فاذاً لما يسوع اعطى بطرس مفاتيح الملكوت قد اعطاه سلطاناً حقيقياً . وقلّده سلطة حقيقية وقوة حقيقية . وهذا يتضح جلياً

عن الكلمات الاتي بيانها التي تبيّن طبع هذه السلطة واتساعها معًا . السلطة التي لا حد لها . فهي مفاتيح ملكوت السموات . لعمري وهل من شيء اعجب واسمى من هذا : كلّما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماء وكلّما حللته على الارض يكون محلولاً في السماء بدون استثناء البتة . وقصارى الامر قد اعطى يسوع بطرسٍ شخصياً رياسةً وسلطاناً خصوصياً . فهذه الرياسة تتضمن سلطة حقيقيةً وسلطان التولّي على كل الكنيسة . فهذا ما تعلمنا اياه جليّاً هذه الآية الالهية *

ثانيًا . ان الآية الثانية نراها في الاصحاح الحادي والعشرين من بشارة يوحنا (ع — ١٥) * انه لما يسوع سأل بطرس مرتين ان كان يحبه . وفي الثالثة ان كان يحبه اكثر من الاخرين . فبعد ان اجاب هذا الرسول على سؤال معلمه الالهي . قال له يسوع مرتين : ارعَ خرافي : وفي الثالثة ارعَ نعاجي : والحال ان هذه الكلمات تتجه بحصر المعنى نحو بطرس وحده وتبيّن اعطاء سلطان التولّي على الكنيسة كلها . وبالحقيقة اولاً يسوع انما خاطب سمعان بن يونا قائلاً له : يا سمعان بن يونا أتحبني : وعلى ثلث دفعات اوصى ذلك الذي قد كان نكره ثلث دفعات . والذي سأله ثلث دفعات ان كان يحبه . أتحبني : اوصاه ان يرعى قطيعه . اخيرًا انما خاطب ذلك الذي قد ساله ان كان يحبه اكثر من الاخرين : أتحبني اكثر من هولاء : والحال كل هذا لا يطلق الّا على بطرس ولا يقع الّا على بطرس *

ثانياً . أن وظيفة الراعي هو ان يرعى الاغنام ويسوقها الى المراعي الدسمة ويحرسها من الذئاب ويدبرها . وان اقتضى الامر ان يقاصصها ايضًا . والحال على بطرس ان يتمم كل هذا : ارعَ : وعليه ان يجريه ايضًا نحو الخراف :ارعَ خرافي : وان يجريه ايضاً نحو من كان اكبر من الخراف : ارع كباشي : وان يجريه نحو الاغنام ذاتها : ارعَ نعاجي : هذا ما فسّره القديس امبروسيوس . فقد افترض هذا العلامة انه قد دخل في النسخة اليونانية غلط من الناقل. فوضع في قول الرب ثانيةً لفظة نعاجي عوضًا عن لفظة كباش . ومن ثم حسب رأي هذا القديس الذي تبعه في هذا المعنى القديس مكسيموس يكون المخلص الالهي ميّز ثلث مراتب من الانام المسلمين لحراسة بطرس وهي الخراف والكباش والنعاج . اي المؤمنين والكهنة والاساقفة . ولا اقتضا لتأييد تفسير القديس امبروسيوس . فمن المحقق هو ان يسوع اوصى القديس بطرس بخرافه ونعاجه بدون استثناء البتة . لعمري فمن لا يرى بهذا سلطاناً سامياً متسعاً حقيقيًا *

ثالثًا . ان الآية الثالثة الالهية نراها في الاصحاح الثاني والعشرين من بشارة لوقا ع ٣١ و٣٢ حيث قال مخلص العالم لبطرس: سمعان سمعان ها هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم كالحنطة. وانا طلبت من اجلك لئلا ينقص ايمانك . لكن انت اذا رجعت ثبّت اخوتك :*

فقد اثبت المخلص امرين بهذه الآية الشريفة . الاول ان

ايمان بطرس لا ينقص اصلاً لان ابن الله التمس ذلك من ابيه • ومن هو الذي يتجاسر مدعياً بان طلبه لا يستجاب طالما يؤكد هو نفسه بان اباه يستجيب دائماً طلبه * وانا عارف بانك تسمع لي كل حين (يوحنا ص ١١ ع — ٤٢) *

ثانياً • قد أُعطي بطرس سلطاناً لان يثبّت ويمكّن وينهض ويقوّي اخوته جميعهم بدون استثناء : ثبّت اخوتك : وعلى هذه الصورة كان بطرس معلّم الكنيسة وقائد اخوته وهاديهم • فقد أُعطي سلطاناً لان يعلّم الامم وينير اخوته ويردّ الضالين الى طريق الحق وان يجري ذلك بسلطان المسيح وباسم المسيح : ثبّت اخوتك : لانه هو معلّم المسكونة • حسب قول الذهبي الفم • وهذا يأتي شرحه فيما بعد *

أما ان هذه رياسة حقاً عظمى وسلطة تعليمية لا مثال لها • وسلطة حقاً الهية • والحال من الواضح البيّن للعيان ان هذا الامتياز هو خاصة مختصة ببطرس • فان الشيطان ابا الكذب طلب سلطاناً لزرع الضلال في الكنيسة لان يغربل حتى وتلاميذ يسوع انفسهم • لكنّه يوجد واحد منهم لا تقدر عليه حيلة هذا الشلّاب لانه : صليت لاجلك لئلا ينقص ايمانك : فنوره لن ينطفئ ولا يمكن ان ينطفئ اصلاً • فهو المنارة الالهية • ففي ايام العواصف وهبوب الارياح وفي الليالي المظلمة المدلهمة يتلالا ببهاء فريد ويكون للجميع مركزاً للاتحاد وعلامة للخلاص *

وحبًا بالاختصار لا نأخذ ههنا ان نثبّت بان كل ما وعد به

الرب لبطرس واكده له في الآيات المقدم ذكرها موعود به. ومؤكد لخلفائه ايضاً . فالاساس يقتضي ان يدوم مدة دوام البناء . ووجود الراعي لا بد منه دائماً للقطيع . وسلطان الربط والحل يدوم ما دام محل لمغفرة الخطايا ولتخليص الانفس . والمعلم لابد من وجوده طالما يقتضي تعليم للبشر باسم يسوع المسيح . وهذا لا محل لايضاحه ههنا . لكنه يتضح جلياً من تعليم المجامع والاباء الذين استغاث بهم غبطة البطريرك القسطنطيني *

فقد سمعت صوت المعلم . فصخ الآن سمعاً لصوت اولئك الذين اعطوا سلطاناً لان يفسروا كلامه الالهي . اولئك الذين قد تمموا ذلك صحة وشرعاً في جلسات عمومية من المجامع المسكونية . وهذا هو موضوع رسالتنا الآتية . فثق ايها الحبيب بخلوص مودة محبك الصادق *

* الرسالة الثامنة *

ايها الحبيب

ها قد وصلنا الى المجامع المسكونية التي قد استغاث غبطة البطريرك القسطنطيني بتعليمها . وذلك بكل ثقة وطمانينة . واني التمس العفو من غبطته عن تكذيب التاريخ له . ولنأخذ الآن بذكر اقوال هذه المجامع *

قالت اباء المجمع القسطنطيني الملتئم في سنة ٤٥١ ولنقابل تعليمهم بتعليم غبطة بطريرك هذه المدينة الحالي بخصوص رياسة الحبر الروماني . ترى ما الذي قالته حينئذٍ

الاباء الشرقيون باتفاق عام . ما الذي قالوه للبابا اغاثون لما تُليت رسالته في الجلسة السادسة : اننا نترك مسلمين لك بما انك اسقف الكرسي الاول والكنيسة العامة . نسلّم لك انت الذي كرسيك مبني على صخرة الايمان غير المتزعزعة . نسلّم لك الاعتنا بان تعمل ما كان احسن . وغب ان تلونا الرسالات التي وجهتها طوباويتكم الابوية لجلالة الملك الكلي التقوى . تلك التي تتضمن ايضاح الايمان الحقيقي نقرّ بها بما انها تأتي من اعلى القمة الرسولية . وبما انها مكتتبة بوحي من الله : (المجمع المسكوني السادس جلسة ٦ عمل ٤) *

فاذاً بموجب رأي اباء المجمع القسطنطيني اسقف رومية هو اسقف الكنيسة كلها . رئيس الكنيسة العام . وكرسيه يركن الى بطرس اساس الايمان غير المتزعزع . فهذا ما هو الّا تلميح الى الآيات الانجيلية . والاحكام الصادرة من كرسيه تأتي من اعلى قمة الرسل . فما رأيك بهذا ايها الحبيب . أهل كان ممكناً ان تثبت رياسة الحبر الروماني وسلطانه على جميع الكنايس والحق الالهي المأخوذ عنه هذا السلطان . أهل كان ممكناً اثباته باجلى بيان *

لكن هذه الحقيقة تزداد ايضاحاً . هذا ان امكن زيادة ايضاح . وذلك من الكتابة التي اعنى عنها هولاء الاباء ومن صريح مصادقتهم عليها . وبياناً لذلك فاننا نورد منها ما تخصه المجمع في اعماله قائلاً : فلبطرس قد سلّم فادي البشر الالهي ثلث مرات الاعتنا برعيته الروحية اي بابنائه . فبحسن حمايته

لم تحِد قط هذه الكنيسة الرسولية عن طريق الحق ولم تتبع الضلال . فالكنيسة الكاثوليكية بتمامها والمجامع العامة قد اقرّت دائمًا بسلطانها بانه سلطان رئيس الرسل . وقد امتثلوا له في كل الامور . فجميع الاباء الذين اشتهروا عندنا بفضلهم وفضيلتهم قد تمسكوا بالتعليم الرسولي الذي يأتينا من بطرس . التعليم الذي هو قاعدة الايمان الحقيقي . وقد حافظت عليه دائمًا الكنيسة الرسولية في السراء والضراء وكأم نيرة الفهم قد حفظته حفظًا امينًا في ملك السلام الروحي المؤتمنة عليه . فبنعمة الله الضابط الكل بقدرته لا يمكن ابداً ان يؤتى بدليل بانها حادت عن التقليد الرسولي او انها انغشت منخدعة من الاختراعات الاراتيكية . بل ان كل ما تعلّمته من الايمان المسيحي منذ الابتداء من موسسيها روساء الرسل قد حفظته الى الآن سالمًا من كل ضلال حسب وعد المخلص الالهي نفسه لهامة رسله الكرام قائلاً * سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة . وانا طلبت من اجلك لئلا ينقص ايمانك .... (لوقا ص ٢٢ ع ٣١ و ٣٢) *

أهل يمكن ان يؤتى باصرح وابين مقال وان يُثبّت باحسن اثبات بان بطرس قد ايتمن على الكنيسة وانه لا يزال يدبرها وانه لا يبرح جالساً على كرسي رومية . وان الكنيسة الرومانية العارية دائمًا وابدًا عن كل ضلال انها مساعدة الهيًا في تعليمها . وان المجامع المسكونية والاباء القديسين والمؤمنين اجمعين قد اقرّوا دائمًا ببطرس في خلفائه واعترفوا بان سلطانهم هو عين سلطانه *

ولقد تعترضني قائلاً . ان هذا الكلام الذي اوردناه انما هو كلام البابا اغاثون لا كلام المجمع . لقد صدقت بذلك لكن هذا الكلام قد تلي في المجمع ولم يصاده احد ولم تقم ضده حجة . بل انهم قد خصوه في اعمال المجمع . بل صادق عليه المجمع علناً مصادقة صحيحة شرعية . لانه بعد تلاوت كتابة البابا اغاثون قد صرّحت اباء المجمع بهذه الكلمات المخلّدة الذكر: اننا لا نرى سوى طرس ومداد راسمين احرفاً امام اعيننا لكن انما بطرس كان يتكلم باغاثون . فلبطرس قد سمعنا: قل لي نشدتك الله . أهل ان هذا الكلام يحتاج الى تفسير وايضاح . أما انه يبيّن لنا صريحاً بان الكنيسة الشرقية كانت تعترف وقتئذ برياسة كرسي رومية *

ترى هل ان المجامع الاخر سكتت عن هذا الامر المهمّ . لا لعمري بل ان المجمع النيقاوي في القانون السادس الذي تلاه علناً الاسقف باسكاسين قاصد الكرسي الرسولي كان هذا عنوانه : انه لكنيسة رومية كانت دائماً الرياسة : فبحصر المقال أما ان هذه هي القضية المذكورة من البطريرك القسطنطيني *

وفي المجمع الافسوسي قد دُعي البابا شليستينوس في الرأس السادس عشر خليفة ونائب الطوباوي بطرس رئيس الرسل . وفي المجمع الخلقيدوني بعد ان تُليت كتابة البابا لاون في الجلسة الثانية صرخت اباء المجمع بصوت واحد قائلين : قد تكلّم بطرس بلاون : *

ترى وما الذي قصده الثلثماية اسقف الملتئمون في مجمع

ساردیکا بارسالهم حکمهم للبابا یولیوس لیثبته فقالوا انهم یریدون ان یکرّموا ذکر بطرس بشخصه (القانون ٣) *

وما الذي نقوله عن صورة الایمان المقدمة في سنة ٥١٤ من الاساقفة الشرقیین الی البابا سیماکوس ، اصغ یا صاح لما صرّحوه بهذا الشان : انه في کل یوم یعلّمك معلّمك القدیس بطرس ان ترعی اغنام المسیح التي ائتمنت علیها في کل المسکونة : أهل کان ممکنا ان یتکلم هولاء الاباء باکثر ایضاح وبیان ، فبموجب رأیهم للاب الاقدس سلطان التولّي علی کل المسکونة علی کل اغنام المسیح ، فاذاً یلتزم بان یرعاها فانه قد ایتمن علیها ، ولکي یتمّ ذلك علی ما ینبغي من الموافقة والامانة فبطرس یساعده وبطرس یعلّمه في کل یوم *

واني اختم هذا البرهان المأخوذ عن المجامع بما اثبته المجمع الثامن المسکوني من الصورة المرتبة من البابا هورمیزدا الشهیر *

انه لما هذا الحبر الاعظم حرم اکاشیوس البطریرك القسطنطیني لانه کان معاوناً حزب اوتیخا ، فلم ترد الاحبار الرومانیون ان یقبلوا بشرکتهم الاساقفة الشرقیین ما لم یمحوا ذکر اسمه في الاسرار المقدسة ، الامر الذي لم یتمکّن الحصول منه سوی في عهد یوستینوس الملك ، لکنه لما تم هذا الشرط فالبابا هورمیزدا الجالس وقتئذٍ علی سدّة بطرس طلب زیادةً علی ذلك بان کل اسقف یضع امضاه علی صورة ایمان نصّها

هو نفسه . وهاك ملخصها : ان اول امر ضروري للخلاص هو ان تُحفظ قاعدة الايمان الحقيقي وان لا يُبتعد اصلاً عن تقليد الاباء . لان كلمة الرب القائل: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي : لا بدّ من ان تأخذ مفعولها . والبرهان عن ذلك واضح للعيان . على ان الديانة الكاثوليكية قد بقيت دائما نقية سليمة في الكرسي الرسولي . ولهذا اني اتبع هذه السدّة الرسولية في كل الاشياء . فاني اؤمن بحقيقة كل ما حكمت به . فاذًا ارجو ان اكون معك في الشركة وحدها التي يعترف بها الكرسي الرسولي الذي فيه توجد نقاوة الديانة تامة كاملة . واعدًا باني لا اذكر في الاسرار المقدسة اولئك الذين انفصلوا من شركة الكنيسة الكاثوليكية . اعني بهم اولئك الذين لا يتفقون في كل شيء مع الكرسي الرسولي :

فقد امضيت بخط يدي هذه الصورة واقدمها مسطّرة لك يا هورميزدا الكلّي القداسة والطوبى بابا رومية العظمى . معدًّا الذين ليسوا في شركة البابا انهم منفصلون من الكنيسة :

(انتهت صورة الايمان التي قد صنعها البابا هورميزدا فقبلتها اباء المجمع المسكوني الثامن) *

اني اعلم حسنًا بان غبطة البطريرك لا يعترف بان هذا المجمع هو مسكوني . لكن لاحظن جيدًا بانه كان مؤلفًا من اساقفة الشرق وحدهم مع ثلاثة من نواب البابا . ومن ثمّ فهو لبيان ايمان الكنيسة في تلك الايام . فصورة الايمان هذه قد

أُمضيت بامضاء جميع الاساقفة وجرى العمل بموجبها لا في ايام البابا هورميزدا وحده بل في ايام البابوات اغابيت ونيقولاوس الاول . وقد خُصّت بهذه الالفاظ ذاتها من البابا ادريانوس الثاني خليفة البابا نيقولاوس . وقُبلت من المجمع المسكوني الثامن *

وقد استُعملت هذه الصورة ذاتها في الاجيال التابعة . غير انهم قد غيّروا فقط اسم الاراطقة التي وُجّهت ضدهم *

فالملك يوستينيانوس قد استعمل مرات كثيرة هذه الصورة عينها بكتاباته الى البابا اغابيت . وتعهّد بانه يلزم جميع اساقفة المملكة ان يوافقوها وانه يطلب بان البطاركة ترسل صورة الايمان هذه للبابا ممضيةً بامضائهم . وان روساء الاساقفة ترسلها الى البطاركة والاساقفة الى روساء الاساقفة . حتى ان الكنيسة الكاثوليكية تحفظ على هذه الصورة كل قوّتها وسلامتها في الاتحاد مع الجميع *

فاني اعتمد بذلك على استقامتك وحسن انصافك . ايها الحبيب . أهل يمكنني ان اقدّم لك دليلاً هكذا قاطعاً جازماً وبرهاناً هكذا واضحاً ساطعاً نظير تصرف جميع الاساقفة الشرقيين الذين ضمّوا بفكر واحد الكنيسة الكاثوليكية مع السدّة الرسولية . متمسكين دايماً بهذا الكرسي ولم يقبلوا سوى ايمانه وشركته . وقد اتحد اساقفة المشرق مع اساقفة المغرب بابتهاج المحبة والحبور . كما يشهد بذلك القديس افيت اسقف فينّا اذ كتب بهذا الشأن الى البابا هورميزدا *

وهذا هو تعليم كنيسة الشرق حتى الى الجيل الثامن . هذا

هو التعليم المنادى به علناً والمعلّم به من المجامع المسكونية . ها هو مفروض ومحتوم به على جميع الاساقفة الكاثوليكيين من الحبر الروماني وذلك توقيفاً لسعي الارطقة . وها انه مقبول ومعمول به من جميع الاساقفة الشرقيين والغربيين فجميعهم متحدون بايمان واحد وشركة واحدة . فان كانت هذه الشهادات غير كافية لديك . فكثيراً ما يوجد غيرها بهذا المعنى . لكنه خشيةً من الاطالة ابادر الان الى تعليم اباء وعلماء الشرق والغرب حتى الى الجيل الثامن . وهذا هو موضوع رسالتي الاتية . فثق الآن بصدق عواطف مودّة محبك الصادق *

* الرسالة التاسعة *

ايها الحبيب

قد رأينا في الرسالة الاخيرة كم ان غبطة البطريرك القسطنطيني قد اخطئ باستغاثته بالسبعة المجامع المسكونية ضد رياسة الحبر الروماني . ترى هل ان اباء وعلماء الكنيستين الذين قد استغاث غبطته بشهادتهم يوافقون مدّعاه . لعمري ان هذا امر من المحال . على انه لا يمكن وجود تضاد في تعليم المجامع المسكونية وتعاليم الاباء في امرٍ هكذا جزيل الاهمية . فلو وجد خلاف لتلاشى معنى الكنيسة وسلطانها الاعلى وعصمتها . ومن ثم انني لا ارى ما يربّك افكاري في هذه المسئلة سوى انتخاب الاباء الذين يقتضي ان نورد شهادتهم . فوالحالة هذه انني افضّل ذكر آراء اباء الكنيسة الشرقية حتى الى

الجيل الثامن . واني انتخب اشهرهم . فمنهم كثيرون لا شبهة بهم بانهم يميلون الى موافقة رومية *

فاني اذكر اولاً ذلك العلاّمة الشهير القديس ايروناوس تلميذ القديس بوليكاربوس . فهذا العلاّمة عاش في ازمنة قريبة من الرسل وبعد . ان القى بهاء المجد على الشرق ذهب الى الغرب وانارهُ بتعليمه السماوي . بل وحسب قول احد الاباء انه قد سربل كنيسة ليون بارجوان دمه . فصحّ سمعًا لما قاله هذا الجليل عن رياسة كرسي رومية : ان لهذه الكنيسة بسبب رياستها السامية يجب ان تلتجيء كل كنيسة اي كل مؤمنين المسكونة بأسرها (الكتاب الرابع ضد الهرطقات فصل ٣) : *

وتقدم لنا كنيسة الاسكندرية شهادة العلاّمة اوريجينوس القائل : انه على بطرس قد أُسست كنيسة المسيح (اوسابيوس في الكتاب السادس من التاريخ الكنايسي فصل ١٩) * وقال ايضًا : اسمع ما قاله الرب لاساس الكنيسة غير المتزعزع . لهذه الصخرة الصلدة التي بناها عليه . يا قليل الايمان لِمَ شككت (ميمره في كتاب الخروج) : وقال ايضًا : لما سلّم الرب لبطرس كل ما اختص بالراعي نظرًا لرعيته وبنى عليه كنيسته كعلى ارض ثابتة فلم يطلب عربونًا عن ذلك سوى حبه ومحبته (الكتاب الخامس من تفسيره رسالة بولس الى اهل رومية) : *

انه لشهيرة لدى الجميع شدة ثبات القديس باسيليوس العظيم وعظم تمكّنه بصيانة حقوق كنيسته . فضد هذا الصخر

القوي قد تكسّرت كل قوى الملك فالينسيوس . وقد داس هذا البطل كل شيء حتى المنفى والاضطهاد والموت . لكنه معاذ الله من ان تكون ضعفت قواه ضد كل ما اختص بواجباته المقدسة . فترى ما هو رأي هذا العلّامة العظيم نظرًا لرياسة كرسي رومية . فهذا الحبر النبيل اسقف قيصارية المعظم الذي ارتفع كرسيه الى مقام ذا امتيازات وانعام تضاهي امتيازات كرسي بطريركي . قد نادى علنًا واقرّ معترفًا بحق تولّي الكنيسة الرومانية على سائر الكنائس حتى وعلى الكراسي البطريركية . فهاك ما كتبه الى البابا داماسيوس سنة ٣٧١ . وقد انقلنا كلامه مما طبعه البينيديكتيون . فقال في الرسالة السبعين : انه لامر عذب شهي وضروري للانام انهاض همتكم لاظهار علامات جديدة عن محبتكم التي حزنا من طرفها دلايل كثيرة وان تجددوا اتصاليات هكذا فعّالة قد اتحدت سابقًا اباءنا بكرسي رومية . فالآن قد زعزعت المشرق عاصفة شديدة وتقوّت الارطقة المزروعة من اريوس . فالذين يحامون عن التعليم الحق هم مطرودون . والذين يأسرون الانفس البسيطة في الضلال قد حصلوا على كل سلطة وحرية :

فاني لا ارى الّا دواءً واحدًا لهذه الشرور . وهو انّ حلمكم ورحمتكم يفتقدانا . فارسلوا الى مساعدتنا اناسًا محبي السلام يستطيعون ان يتحدوا اولئك الذين قد انفصلوا ويثبّتوا الوحدة في الكنيسة . او اقلّه لكي يفهموكم عن زارعي القلاقل والفساد . لتعلموا معمن يقتضي ان تشتركوا :

فما التمسه الآن ليس هو امر جديد وغير مألوف لكن هذا امر كان سابقاً مألوفاً جارياً فعلاً . فانني اعرف حقاً اما من تقليد غير منقطع تسلّمناه من ابائنا الذين اعتمدنا رأيهم بهذا الشأن . واما من الكتب ذاتها ان البابا ديونيسيوس قد زار كنيستنا هذه كنيسة قيصارية : *

فمن كلام القديس باسيليوس المتقدم ذكره ينتج صريحاً بان هذا المعظم علّامة الكنيسة الشرقية الشهير قد اقرّ . اولاً وكرّر المعتقد بالرياسة على انه رأى اساسها في الكتب الالهية . ثانياً وانه نظراً لرائه للحبر الروماني على الكنيسة كلها سلطان تولّي واضح مسلّم به . وانه بذاته او بمعتمديه يستطيع ان يفتقد سائر الكنيسة . وانه منوط به ان يشجب الارطقة ويقيم الصلح والسلم . ثالثاً وما كان اقوى واثبت وامكن واوطد في هذه المسئلة هو انه يعلم بانه منذ الازمنة الاولية قد مارس البابا دايماً هذا السلطان حتى ونحو الكنائس البطريركية والمطرنية واثبت ذلك من التقليد ومن الكتابات المؤيدة ذلك *

فبعد ان سمعنا قول القديس باسيليوس أتروم استماع صوت الذهبي الفم العديم الشبه . افصح ابناء الكنيسة الشرقية . فهذا العلّامة الجليل البارع في معرفة الكتاب المقدس حتى ان احد علماء الابروتستانت لم يخشَ من ان يدعوه كوكباً عظيماً اطلعه الجيل الخامس فوق مدينة انطاكية *

فهذا العلّامة المبجّل لمّا كان كاهناً في هذه المدينة العظيمة ثم ولمّا صار بعده بطريركاً على القسطنطينية لم يشترك قط بالانشقاق او الارطقة. فقد اعتصب ضده بلاط دولة القسطنطينية وكانت الملكة نفسها مقدام الاضطهاد. ولم يتزعزع الذهبي. ولما اضطر ان يترك كرسيه لبث ثابتاً في المدافعة عن حقوق الحق والعدل المقدسة. وحينئذٍ استغاث ضد عدوان مضطهديه الى خليفة بطرس المقلّد السلطة المقدسة على الكنيسة كلها. فالحبر الاعظم اعني به القديس اينوشنسيوس استجاب دعوته وقبل استغاثته ورفع صوته الرسولي لكي ينتقم للبرارة المظلومة ولم يخشَ من ان يفصل من شركة الكنيسة الرؤس الملوكية المكللة بالتيجان ذاتها التي كانت آلةً للظلم والنفاق. اي نعم قد مات يوحنا في المنفى قبل اجراء حكم البابا. لكن الكنيسة اليونانية والمدينة والبلاط القسطنطيني نفسه قد بالغوا بتعويض الاهانة الملحقة بهذا البطل المحامي عن الايمان وكرّموا اثاره المقدسة باكرام القديسين. فبقيت كتابته كنخبة الفصاحة المقدسة وكآثارٍ مخلّدة الذكر عن هذا التعليم الذي نحامي عنه الآن. وايضاحاً لذلك نورد منها ما يناسب موضوعنا الحاضر *

قال القديس المذكور: كما انه لا يكفي ان ننوح باكين على الشر بل ويجب ايضاً ان نبحث مفتشين على دوائه. وان نسكّن الزوبعة المهولة التي تزعزع الكنيسة قد افتكرنا بانه من الضرورة ان نرسل حالاً لمحبتكم اساقفة اتقياء اجلاء يطلعونكم

على كل ما هو جارٍ لكي تبادروا حالاً الى مداراة هذا الشر . ونرجوكم ان يصدر امركم بان كل ما قد جرى كان ظلماً وعدواناً لا قوة له بل انه باطل ولا صحة له . وان الذين قد ثبت عليهم بانهم تصرّفوا بهكذا خبث ورداءة يُحكم عليهم بالقصاصات القانونية :

فمن المعلوم لدينا هو انه كلّما ازدادت العواصف تزدادون سهرًا وتيقظًا . فلا تعبأون لا بطول الطريق ولا بطول المدة ولا بمصاعب الامور . فانكم تحاكون مدبر سفينة شجّاع يضبط دفة المركب ويدبّرها بانتباه يعادل عظم الاخطار المسببة من الامواج العجّاجة ومن ظلام الليل المقتم :

وبالحقيقة انما تحاربون عن الارض بتمامها . وعن الكنايس التي اضحت خرابًا ودماراً . وعن الشعوب المشتتة الشمل . وعن الاكليروس الذي اضحى موضوع الاضطهاد وعن الاساقفة المنفيين وعن القوانين المقدسة المداسة :

ومن ثمّ اننا نستحلفكم ثانيةً بان توجّهوا نحو هذا الامر عناءً واجتهاداً عظيمين ضد هذه العواصف الشديدة : اه *

فلا اقتضاء لتفسير معاني هذه الكتابة . فاذاً من الضرورة اعلام البابا ليداوي الشر . فيلتزم بان يبطل ما جرى ويشجب ويؤدب زارعي الفساد . فلا طول الزمان ولا بعد المكان شأنهما ان يضعا حداً لهمته واهتمامه . ويجب عليه ان يدّبر الامور بيده لان ذلك يهم الكنائس والمؤمنين والاكليروس والاساقفة

وللارض بكمالها *

فانه لا يخطر لعقل من يعرف شرف نفس وسمو اخلاق الذهبي الفم . بان هذا الجليل لم يلتمس مساعدة الكبر الاعظم ولم ينادِ بسلطانه العام الآن لانه قد كانت احاقت به البلايا والنكبات وسقط تحت اثقالها . فان افتكر انسانٌ بمثل هذا الافتكار يسهل علينا ان نبيّن له غلطه . فان هذا العلاّمة الجليل في احسن اوقات عظمة اسقفيته . ولما كان على احسن حال من السراء لم يكن كلامه مغائراً لهذا الكلام . على ان تآليفه تتضمن بشان رياسة بطرس شهادات هذه كثرتها حتى انه لو شئنا ايرادها لازعجنا القاري . فانه لم يدعُ بطرس فقط إمام الرسل ورئيسهم وفم التلاميذ ورأس الكنيسة وعامودها (المجلد الثالث وجه ٧ والمجلد السادس وجه ٣٣٤ من تآليفات هذا القديس المطبوعة بمطبعة جومي سنة ١٨٥٩) . لكنه قد دعاه ايضاً معلم المسكونة (المجلد الثامن وجه ٦٠٠) فقال : انه اذا ما سألني انسان لماذا لم يُنتخب بطرس ليكون اسقفاً على اورشليم عوضاً عن يعقوب فاني اتجاسر واجاوبه قائلاً : ان بطرس ليس هو اسقف على مكانٍ مخصوص بل انه قد أُقيم معلماً للعالم بكماله (الميمر الثامن والثمانين على بشارة يوحنا) . فلم يؤتمن على كنيسة خصوصية بل على العالم كله (المجلد الاول وجه ٨٢٩) : *

واني التمس المعذرة لكوني اسهبت في تبيان شهادة هذا العلاّمة الجليل الذي بكل حقٍ وعدل تعظّم الكنيسة الشرقية

اقواله الجليلة *

وحيث قد طال بنا الشرح ولا عاد محل لايراد شهادات اخرى الآن فاني اكتفي بما تقدم . راجياً قبول عواطف خلوص مودّة محبك الصادق *

* الرسالة العاشرة *

ايها الحبيب

اني اورد لك الان شهادة من ليس هو ادنى منزلة من الذهبي الفم ولا اقلّ اعتباراً منه في الشرق . اي اني اخاطبك من القديس سوفرونيوس بطريرك اورشليم . فلهذا العالم العلاّمة تسابيح جميلة ونشائد عظيمة تترنم بها الكنيسة الشرقية . فمن تآليفه السامية أُخذت منذ سنوات قلائل شهادات جليّة بشأن حبل العذراء بلا دنس *

انه لما كان شيروس بطريرك القسطنطينية مال سرًّا الى ارطقة الطبيعة والمشيئة وكان اذ ذاك القديس سوفرونيوس راهباً في دير القديس سابا حاول ذلك البطريرك اجتذابه الى حزبه لعلمه بسمو فضله وفضيلته . فحالما رأى سوفرونيوس سمّاً مخفياً مخبوءًا تحت اقوال هذا البطريرك الخدّاعة تمزقت احشاوه حزنًا . ولشدة حبه للكنيسة المحاربة في ايمانها رفع عينيه ويديه نحو السماء وانطرح لدى اقدام ذلك البطريرك الاثيم . واستحلفه بدموع سخينة ان لا يمزّق ثوب الرب ولا يهدم وحدة الايمان *

وفيما بعد لما اعتبارًا لسمو فضله وفضيلته رُقي الى بطريركية اورشليم حاقت به بلايا اشد واقوى ، وتجارب اكبر واعظم ، على ان هجوم الشراكسة من خارج وتقدم ارطقة الطبيعة والمشيئة المؤيدة حينئذٍ من سرجيوس بطريرك القسطنطينية كانا يتهددان شعبه بفقد الحرية والايمان معاً *

فترى ما الذي عمله ذلك الشيخ الجليل . انه لم يستطع ان يترك قطيعه في ظروفٍ هكذا مشومة بازاء اخطار قصوى ، فكانت جيوش الاعداء تسرع الخطوات نحو اورشليم . وسوفرونيوس لبث فيها الى اخر دقيقة من حلول تلك النكبة المريعة حتى ان عُمر نفسه استهابه واعتبره . وان كان لم يستطع ان يخلّص المدينة فاقله قد خفّض ولطّف شروط المعاهدة . لا بل ان هذا الجليل ذا الهمّة العالية شرب الكأس مع شعبه ومات فريسة الحب نحو قطيعه وشهيد احزان المنيّة من قبيل تلك المصائب *

لكن أهل نعلم كيف اوفى صحة الايمان الذي كان اعزّ لديه من حياته وكيف انه قد نجّى بلاده من خراب الارطقة . فبعد ان احضر اليه اسقف دور (١) . فاقتاد سوفرونيوس ذلك الاسقف

---

(١) حاشية اعلم ان دور او دورة كانت مدينة كنعانية على مسافة ثلاث ساعات ونصف شمالي قيصارية على شاطيء البحر تُدعى الان طنطورة . فقرية الطنطورة هي مبنية في محل مركز ملك الكنعانيين الذي حاربه يشوع بن نون (يشوع ص ١١ع١٢-١٧) *

الى جبل الجلجلة الى المكان الذي صُلب فيه المخلص ، وفي ذلك المكان الجليل وعلى تلك الارض المسقاة بدم المسيح خاطبه بهذا الكلام قائلاً : انك قد رأيت الاخطار المحيقة بنا والحالة القصوى التي توصلنا اليها . فاني استحلفك ان تفعل حالاً ما لا يمكنني فعله بذاتي بسبب غزوات الشراكسة . اذهب الى الكرسي الرسولي حيثما توجد اساسات الايمان السليم القويم . فان تهاونت بالاخطار المحيقة بالايمان فانك سوف تعطي عن تهاونك حساباً للرب الاله الذي صُلب في هذا المكان المقدس متى جاء ليدين الاحياء والاموات (هذا ما قاله القديس سوفرونيوس) : فيالعظم ايمان هذا القديس الجليل ويا لعلو همته ويالطهارة قلبه وسمو حبه المضطرم السعير *

لا بل هاك جزءاً من رسالة هذا الشيخ الجليل التي سلّمها لاسقف دورة برسم البابا . ويمكننا ان نعتبرها كوصيته الاخيرة لانها تتضمن رغبة نفسه وآمانيه القصيا *

فقال : انه توجد اوقات نتمنى فيها حسب قول داود الحصول على اجنحة حمامة فنطير اليك بسرعة لنبلّغ هذه السدّة المعرّضة لاعين الجميع . لهذه السدّة الرئيسية العليا اعني بها سدّتكم العظمى . ونطلعها على ما الـمّ بنا من المصائب ونطلب فيها دواء . لان فيها توجد ادوية لجميع الاسقام . فهذا ما اجرته بنوع فعال ومنذ اوائل الازمنة بقوة السلطة الرسولية وبموجب تصريح المخلّص الرسمي الذي ليس فقط قد ائتمنها على مفاتيح ملكوت السماوات . بل انه فرض عليها ان ترعى

نعاج الكنيسة الكاثوليكية بقوله لبطرس : يا بطرس أتحبني ، ارعَ خرافي : هذا وانما بطرس قد امتاز بين جميع الرسل بثباته غير المتزعزع في الايمان فاستحق الوظيفة التي أُعطيت له . وهي بان يرد ويثبّت اخوته الضعفاء . لانه لذلك قد قبل السلطان والسلطة الكهنوتية من ذلك الذي اذ صار انسانًا وحبرًا اعظم لاجلنا اقامه مقامه على الارض : اهـ *

فيا ايها الحبيب . ترى ايما كلام اوضح وابين من هذا الكلام تبيّن به هذه الحقيقة الحاضرة . فلا يخال لذهن احد من جماعتكم بان هذه الاقوال مخترعة منا . فهي طبق الاصل وعليك بمجموع المجامع الذي اخذنا منه هذه الرسالة . فهو كتاب شهير يمكنك الوقوف عليه . فان قابلته تأكدت صدق النقل . فقد رأيت ان القديس سوفرونيوس اتفق رأيًا مع الذهبي الفم ومع القديس باسيليوس بانه لا خلاص الّا في رومية . وان الدواء لهكذا امراض كثيرة وشرور عديدة لم يمكن وجوده الا في الكرسي المقدس . هناك النور الذي لا ينطفيء والايمان الذي لا ينقص ابداً . والسلطة العليا التي لا تقوى عليها قوات الجحيم ابداً . فمن اعلى قمة هذه السدّة الرسولية يصرخ صوت الراعي فيُسمعه كل القطيع اعني جميع خراف الكنيسة الكاثوليكية . هناك يوجد اساس التعليم الصحيح ذلك الذي لا تفسده سفسطيات الاراطقة الخدّاعة ولا شهوات البشر المفسودة . هناك اخيراً السدّة العليا الرئيسية المعرّضة لاعين الجميع . السدّة التي قد التجيء اليها الجميع منذ الازمنة

الاولى . السدّة التي بادرت لمساعدة الجميع مساعدة فعّالة بقوة السلطة الرسولية *

فهذه الرسالة التي يمكننا ان نسميها وصية القديس سوفرونيوس لم تكن وصلت الى رومية لما انحدر هذا الشيخ الجليل الى القبر . لكنها لم تكن عقيمة وبدون ثمرة . فان اسطفانوس تمم ما كان أُمر به وسلّمها لمرتينوس الاول المالك وقتيئذٍ على السدّة البطرسية . فانعقد في رومية مجمع بامر هذا البابا وانشغل ذلك المجمع انشغالاً قويًا بانقاذ اورشليم والاراضي المقدسة . ولم تألُ البابا وات جهدًا . على ان اورشليم اضحت لديهم موضوعًا يعلو اهمّية على حال شقائها . وقد كان اوشك الاوان ولم يكن حينئذٍ بعيدًا حيثما اهتز المغرب بقوة صوت الاحبار القدير بشأن المدينة المقدسة وقبر فادي العالم . فقد ارتفع صليب المخلص فوق اعلى جامع عُمر . واذا ما كانت راية اعداء الدين المسيحي التي تنكست وقتيئذٍ قد ظهرت ثانيةً منتصرة ظافرة . فلم يمكن نكران فضل الصليبيين على انهم وضعوا حدًا لثورات مياه الغزاة العزوة فاوقفوها بل انهم قد رجّعوها الى الوراء ايضًا . وما هي مديونة به هذه الاقطار الشرقية لهمّة البابا وات واعتنائهم انما هو من الامور المجهولة او من الامور التي يُسبل عليها حالاً ذيل النسيان *

اننا نذكر ههنا على وجه الاختصار كلمات القديس اثاناسيوس المخلّدة الذكر . وهاك ما كتبه في رسالته الى البابا يوليوس

قائلاً : قد حكم اباء المجمع النيقاوي بانه يجب الالتجاء الى كنيستكم الرومانية المقدسة التي بانعام خاص قد اعطاها الرب سلطة الحلّ والربط على سائر الكنائس كافةً . هي الاساس المقام من المسيح . وهي المحور المقدس الذي عليه يستند وبه يتحرّك الجميع : (الرسالة الى يوليوس الاول) *

واني اضرب صفحاً عمّا قاله القديس كيريللوس الاسكندري والقديس نيشيفوروس القسطنطيني والقديس ايبفانيوس وغيرهم من الشهادات الراسخة الواضحة . واترك جانباً اقوال القديس لاون والقديس امبروسيوس وسائر اباء المغرب . مع ان غبطة البطريرك القسطنطيني يقرّ معترفاً بتعليم من عاش منهم حتى الى الجيل الثامن . وقبل ان انهي هذه الرسالة ارى من الصواب ذكرما كتبه القديس ايرونيموس الى البابا داماسيوس . فقد صرّح هذا العلاّمة قائلاً : ان لا قائد لي سوى يسوع المسيح واني اشترك مع قداستكم بشركة سدّة كرسي بطرس . فكل من اكل الخاروف خارجاً عن هذا البيت (اي الكنيسة) هو خارجي . ومن لا يكون ضمن السفينة النوحية يهلك . ومن لا يجمع معك (ايها الحبر الروماني) يبدد . فمن لا يختص بالمسيح فانه يختص بالمسيح الدجال : (الرسالة الخامسة عشرة) . لكن من كان متحداً بسدة بطرس فذاك هو صديقي : (الرسالة ١٦) *

والقديس كبريانوس في مقالته على وحدة الكنيسة شبّه كرسي بطرس بالرأس نظراً الى الجسد . وبأصل الشجرة نظراً

لاغصانها . وبالينبوع نظراً الى الجداول . وبالشمس نظراً للاشعة .

اما القديس اغوسطينوس فقال : انه في الكنيسة الرومانية قد انحفظت دائماً رياسة السدّة الرسولية : (رسالة ٤٣ ع ٧) . فهذه السدّة هي الصخرة التي لا تقوى عليها قوات الجحيم : (تفسير الزبور ضد دوناتيستيين) . ومن ثم لكي يبيّن بان الدوناتيستيين هم مشاقون فلم يفتقر الى برهان اخر بل انه قال لهم : افتحوا اعينكم وتأملوا سلسلة الباباوات الذين منذ اربعة اجيال متوالية وبدون انقطاع ولا انفصال جلسوا على كرسي القديس بطرس الذي خاطبه الرب بهذا الكلام بما انه مستحصر الكنيسة : وعلى هذه الصخرة الخ . فلينوس خلف بطرس واكليمنضوس خلف لينوس وهلمّ جرّا الى انسطاسيوس . أَهل ترى في هذه الخلافة المتوالية اساقفة دوناتيستيين (رسالة ٥٣ ع ٢) . وقال في مكان اخر : ان ما يضبطني ويثبّتني في الكنيسة هي خلافة الاساقفة على هذا الكرسي بدون انقطاع منذ بطرس الذي ائتمنه الرب من بعد قيامته على حراسة رعيته (في كتابه ضد رسالة المانيين المسمّى الاساس) . فقد اشتهر قول هذا العلاّمة حيثما حصر كامل رأيه فاصحى صورة ايمان كاثوليكي وهو : رومية تكلّمت فالدعوى انتهت نسأله تعالى ان تنتهي الاضاليل ايضاً : (عظة ١٣١ ع ١٠) *

فالقديس اوبتاتوس من ميليفا من اقران القديس اغوسطينوس لانه على مثاله حارب الدوناتيستيين بغيرة عظيمة فتكلل مسعاه بحسن النجاح والتوفيق . فهذا القديس المبجّل قد

تفوه علناً في كتابه ضد الدوناتيستي البارمينياني (كتاب ١١ فصل٢) قائلاً : قُل مهما شئت فانه لامر لا يسعك نكرانه وهو ان الكرسي الاسقفي المقام في رومية قد سُلّم الى بطرس وذلك لكيما وحدة هذه الكرسي تحفظ في كل الكنيسة وحدة الايمان والمحبة. حتى انه قد اعدّ مشاقاً ومخالفاً كل من اقام كرسيا ضد هذا الكرسي الوحيد . فحبًا بالوحدة قد استحق بطرس ان يُفضّل على باقي الرسل. فله وحده قد أُعطيت مفاتيح ملكوت السماوات لكي يشرك بها الاخرين : (كتاب ٧ فصل ٣) *

فلاجل ادراك قوة البرهان الذي كثيراً ما تستعمله اباء الكنيسة ينبغي ان نلاحظ في اصطلاحهم وفي معناهم المبني على الكتاب نفسه . ان الكرسي او السدّة هي رمز التعليم والمعتقد والايمان والوعظ والتبشير (راجع القديس اثناسيوس وايرونيموس واغستينوس واوبتانوس وفوجنسيوس). فاذاً وحدة الكرسي هي حسب رأيهم علامة ورمز الوحدة في الايمان وفي التبشير وفي المعتقد وفي التعليم . فاذًا ان الكرسي واحد وهو كرسي بطرس . والمعلم واحد وهو بطرس. والراعي الاكبر واحد وهو بطرس الذي هو مستحضر المسيح . لكنه كرسي واحد لا يعلّم الاّ الحق وتعليم واحد سليم نقي وتبشير واحد دائماً مقدس. كرسي واحد ينادي دائماً بكلام الله وتعليم واحد يعلّم الايمان المسيحي بدون تغيير وتبشير متصل بدون انقطاع في مرور الاجيال والايام. كرسي واحد يعلّم المسكونة باسرها وتعليم واحد ينير البشر اجمعين وتبشير يتجه نحو الجميع ويُنادى به في اربع اقطار المسكونة. فهذا

هو كرسي رومية وسدّتها ٠ وهذا كافٍ الآن وارجو المعذرة من الاطالة ٠فان كنا اسهبنا المقال فما ذاك الّا اعتباراً للموضوع ٠ وثق بصدق عواطف مودة محبك الصادق *

* الرسالة الحادية عشرة *

ايها الحبيب *

فليكن معلوماً لديك انه بناءً على الشهادات التي قدّمناها اضحي مصادقاً على كلمات غبطة البطريرك القسطنطيني القايل: نظن ان احسن حلّ لهذه المسائل يجب ان نطلبه من التاريخ ٠ على انه منذ عشر اجيال كانت توجد كنيسة تعتقد بعقائد واحدة شرقاً وغرباً في رومية القديمة والجديدة : فلنستشر اذاً تلك الاجيال لكيما نرى من هو الذي ازاد ومن هو الذي حذف٠ ولنحذف رويداً رويداً تلك التجديدات وحينئذٍ نكون جميعاً في مركز الارثودوكسية الكاثوليكية *

ان غبطة البطريرك الموماً اليه لم يكن تفوّه بهذا الكلام لو يخطر لذهنه ذلك التعليم المسلّم والمنادى به٠ عموماً حتى الى عصر فوثيوس سواءٌ كان في الكنيسة الشرقية او الغربية ٠ وعنه قدّمنا الآن اثباتات عديدة راهنة ٠ فقد استشرنا المجامع والاباء فاجابونا بصريح المقال *

اي نعم من المعلوم هو ان الاخصام قد اعتادوا على ايراد شهادات كثيرة ضد هذه الحقايق الكاثوليكية نسبها اوليك المؤلفون الى الاباء القديسين ٠لكنك اذا ما امعنت النظر بها

وتحققت حقيقة حالها فتراها اما منغولة او مأخوذة من المتن الاصلي او مجرّدة عن كل قرينة او انه يكون معناها خلافاً لما قصدته الاخصام . فمن المحقق هو انهم يأتوك باقوال ذهبية لكنها دنانير زيوف اذا ما جرّبتها بنار الانتقاد الصارم تأكدّت غشها وزغلها . فيكفيك ان توزنها بميزان الصدق وتعرضها لانوار الحق فتبان لك على ما هي عليه *

فلنأخذ الآن بتلخيص التعليم المتضمن في الآيات الانجيلية وفي اقوال المجامع المسكونية والآباء الكرام التي اعرضناها على القارئ . ذلك ليسهل علينا اعتبار قوتها وقيمتها *

اولاً . ان المخلّص ذاته اقام بطرس اساً لكنيسته وموزعاً اميناً وقهرمان ملكوت السماوات ليفتح ابوابه ويقفلها . وراعي الخراف والاغنام واباها ومعلم جميع البشر والارض كلها . واقامه ليمكّن ويثبّت اخوته جميعاً بدون استثناء *

ثانياً . ان الحبر الاعظم هو اسقف الكرسي الاول واسقف الكنيسة العامّة وهو القمّة الرسولية العليا (المجمع السادس القسطنطيني) . وهو خليفة بطرس ونائبه المألوف (المجمع الافسوسي) . وانما بطرس يتكلم بفم اغاثون (المجمع السادس القسطنطيني) . وان بطرس يتكلم بفم لاون (المجمع الخلكيدوني) . وان بطرس هو مع خلفائه وهو يساعدهم وهو يدبرهم (اساقفة الشرق في صورة ايمانهم الى البابا سيماكس) . وان بطرس يجلس على كرسي رومية في سلسلة خلفائه غير المنقطعة ولا يزال يعلّم المسكونة (ايرونيموس اغوستينوس اوبتاتوس) *

ثالثاً ، ان كنيسة رومية ترتاح على صخرة الايمان غير المتزعزعة (المجمع السادس) . وهذه الكنيسة هي رسولية (المجمع السادس ايضاً) . ولها الرياسة على جميع الكنائس (مجمع نيقية) . وان تعليمها كان دائماً سليماً وعارياً عن كل ضلال وارطقة (المجمع السادس) . واليها يجب ان تلتجي جميع الكنائس (مجمع نيقية والقديسان ايريناوس واثاناسيوس) . وهي وحدها تستطيع ان تداوي جميع الشرور المسببة من الارطقة والانشقاق (القديس باسيليوس ويوحنا فم الذهب وسوفرونيوس) . ومعها يقتضي ان يشترك الجميع . لان فيها قاعدة الايمان الحقيقي (صورة الايمان للبابا هورميسدا والمجمع الثامن) . وقد اعطى الرب للكنيسة الرومانية على سائر الكنايس كافةً سلطان الحلّ والربط (مجمع نيقية والقديس اثاناسيوس) *

فالى حبر رومية والاسقف العام يلتجي الاخرون جميعاً في الاضطهادات المتجهة ضدهم . وهو الذي يحامي مدافعاً عن البرارة المظلومة ويوقي ويحفظ صحة تعاليم الكنائس والاسقفيات (يوحنا فم الذهب واثاناسيوس وباسيليوس) . فان كرسي رومية نظرا لباقي الكنائس هو كالاصل الى الاعضاء والينبوع الى الجداول والشمس للاشعة والرأس للاعضاء (القديس كبريانوس) . وان كرسي بطرس هو الكرسي الوحيد الذي يخرج منه ذلك التعليم الذي ينير العالم . وهو قاعدة الايمان وهو مركز الشركة الكاثوليكية (القديس ايرونيموس واغوستينوس واوبتاتوس) *

فهذه هي ايها الحبيب العبارات التي علّم بها الكتاب المقدس والمجامع والاباء معتقد الرياسة . واني لقادر ان اورد لك الوفاً الوفاً ومليونات ملايين شهادات بهذا المعنى . لكن ليت شعري هل ان هذه الحقيقة تحتاج ايضاً الى ادلّة اخرى . فلو كان اقتضا لذلك لاستغثت اسناداً وتمكيناً لهذه الحقيقة على ليتورجيّة كنيستكم ذاتها . فانها مملوءة اقوالاً صريحة تأيّد ايمان الكنيسة القديم بهذه الرياسة . راجع مثلاً عيد القديس لاون في ١٨ شباط وعيد القديس سيلفيستروس في ٢ كانون ثاني : فترى البابوات مدعويين خلفاء هامة الرسل ورؤساء الكنيسة ومترأسي الكنيسة ورؤساء الطغمة المقدسة وهلمّ جراً . لعمري انكم على درجة من الكثلكة اكثر مما تظنون *

واني لقادر ان ابيّن لك ان الارطقات قد تقدم الشكوى عليها في كل جيل الى هذا الديوان الاعلى . وان اغلب المبتدعين قد حكمت عليهم وشجبتهم البابوات حتى وقبل ان تشجبهم المجامع . وهذه الحقيقة كانت هكذا ثابتة حتى ان بعض الاراطقة انفسهم كثيراً ما كانوا يستغيثون برومية ضد الحكم المبرز ضدهم من الاساقفة المحليين *

واني اذا ما استندت على صدق التاريخ يمكنني ان ابيّن لك تبياناً جلياً بانه دائماً وفي كل مكان كل ما حدث قلق في الكنيسة كانت المبادرة بالالتجاء الى الحبر الروماني ليأتي بالدواء المقتضي . كما قد تأكد لنا ذلك من كتابات القديس باسيليوس ويوحنا فم الذهب وسوفرونيوس *

واذا ما وقع شك في مسائل الايمان او التهذيب العام فكانت ترفع الدعوى الى رومية . (راجع قضية تعييد عيد الفصح وقضية تكرار العماد في رسالة القديس اغوسطينوس المائة والسابعة والسبعين) . فهذا القديس نفسه اخضع هو نفسه كتابه ضد بيلاجيوس الى البابا بونيفاسيوس (كتاب اول ع ـ ٣) *

أما انه من رومية كانت البطاركة حتى وبطاركة القسطنطينية انفسهم بل وفوثيوس نفسه طلبوا التثبيت ليكون لهم التولّي على القطيع المؤتمن بحراستهم *

أما انه من رومية كان يصدر انحطاط الاساقفة الزور والاساقفة الذين اخطأوا بحق وظيفتهم واضحوا غير اهل للاسقفية . أما انه الى رومية كان الالتجاء بترجيع اولئك الاساقفة الذين كانت الارطقة او الانشقاق او سياسة اثيمة طردتهم من كراسيهم مثل القديس اثاناسيوس ويوحنا فم الذهب وغيرهم *

اما انه في كل عصر وجيل قد حُفظ للبابا حق المناداة بالمجامع المسكونية والدعوة اليها . وبالحقيقة من يقدر سواه ان يأمر الاساقفة بالحضور الى هذه المجامع الاحتفالية ويلزمهم بذلك الزامًا شديدًا . اما ان هذا يفترض سلطانًا عامًا على كل الاساقفة ومن ثم يفترض رياسة التولي . راجع التاريخ فترى بمن يختص الترأس على المجامع . ومن هو الذي يأيّد احكامها ويعطيها قوةً حقيقيةً . فانما هذا يختص بالبابا وحده . وكل حكم لا يصادق هو عليه لم يوجب التزامًا ان اختص بالتهذيب ولم يكن قاعدة الايمان ان اختص بالعقائد *

راجع التاريخ جيلاً فجيلاً وقل لي ان كانت رومية لم تُعدّ فعلاً وحقيقةً وذلك دائمًا وابدًا من كل العالم الكاثوليكي ومن الاساقفة ومن الملوك انفسهم . خلا لدى الارطقة والانشقاق . ان كانت لم تُعدّ الكرسي الاولى والرئيسي الذي على ما قاله القديس ايروناوس يجب ان تلتجي اليه جميع الكنائس والمؤمنون قاطبةً *

فاذا ما رام احد شعوب الوثنيين اعتناق الايمان الكاثوليكي . قل لي نشدتك الله لمن كان يطلب ذلك الشعب ولمن كان يخاطب . ومن هو الذي كان يقبله اما ان رومية كانت تحتضنه *

أما ان الاحبار الرومانيين في كل عصر وجيل قد أعدوا ذواتهم مفوّضين الاعتنا بكل الكنائس وقد وجّهوا هذا الاعتنا والاهتمام العام راسمين اساقفة للشعوب والطوائف المختلفة . وارسلوا رسلاً الى البلدان الوثنية واعتنوا بترجيع الاراطقة والمشاقين الى الحق وحفظوا لانفسهم بعض دعاوي مهمّة والحلّ من بعض الخطايا والتفسيح من بعض شرائع *

فاني لقادر ان ازيد على ما تقدم واثبّت لك تثبيتًا قاطعاً جازمًا مانعاً لكل رد واعتراض . وهو ان الكنيسة بموجب ما اقامها السيد المسيح تحتاج الى الرياسة ولا يمكنها ان تثبت او تتصرف وتتدبر بدون ذلك . ومن ثمّ اقتضى ان مخلصنا الالهي يقيم فيها الرياسة كما اقامها حقيقةً و فعلاً *

نشدتك الله قل لي يا صاح ما الذي يكون من امر جمعية

لا سلطان لها بان تضع شرائع عامة على اعضائها لاجل خيرهم وصوالحهم ولا سلطة لها لاجراء تلك الشرائع . فهذه هي حال الكنيسة لو كانت بدون رياسة . فانه لا يكون لاحد سلطة عامة . فقد تعترضني قايلاً : انه يقتضي ان يرجع الامر للبطاركة والاساقفة نظراً للبلدان الخاضعة لرياستهم . ليت شعري ان كان ذلك كذلك من هو الذي يحكم في الكنيسة حكماً قاطعاً لا يقبل الاستئناف حقيقةً . فلربما تجاوبني قايلاً ان القوانين المقدسة تحكم بهذا الحكم . فلا بأس من هذا التعليل . لكن قل لي من هو الذي يأمر بالتئام المجمع لابراز القوانين ويلزم الاساقفة بالحضور اليه . ومن هو الذي ينهي بحق وسلطان ويحسم القضايا بموجب الارثودوكسية . واذا ما كان اكثر الاساقفة كما قد جرى في ايام اريوس وبيلاجيوس وهلمّ جراً انخدعوا وضلوا فمن هو الذي ينهضهم من سقطتهم ويثبّت الصلاح بالايمان وينير هادياً من ضلّ تائهاً منهم . فمن هو الذي يهتم بخير الكنيسة العام ويحسن توزيع الاسرار المقدسة . فمن هو الذي يسهر على حفظ القوانين المقدسة . ومن هو الذي يهتم بارتداد الكفرة وغير المؤمنين . ومن هو الذي يشيّد كراسي اساقفة جديدة . ومن هو الذي يحفظ وديعة الايمان والآداب *

لا لعمري ان رفعت الرياسة كأنك ترفع عن الاعضاء الراس الذي يتحدها سويةً ويجعلها جسداً ويحييها . وكأنك ترفع عن المملكة ذاك الذي يدبرها ويدافع عنها ويحميها ويحفظها براحة وسلام ويعتني بنجاحها وحسن

توفيقها . وكأنك تخطف من القطيع ذاك الذي يعتني به ويقوده الى المراعي الدسمة . ويبعد عن الحظيرة الوحوش الضارية التي تسهر دائماً على افتراس الخراف . وكأنك تسلم القطيع لثوراتها وتقوده الى الفنا والدمار . فانك اذا ما رفعت الرياسة عن الكنيسة فانك تهدم الاساس الثابت المبنية عليه وتعطيه اساسات رمل تحركه الشهوات والاميال وتقوده الى خراب لا بد منه *

وزد على ذلك انه ان لاشيت الرياسة هدمت وحدة الايمان ولن تبقا طريقة لقيامه . ووضعت مبداء استقلالية الرعاة من شأنه ان يفصل بعضهم من بعض ويلاشي كل ترتيب ونظام في الكنيسة . فنكران الخضوع للسدّة العليا في الكنيسة تقود طبعاً الى نكران الطاعة للبطاركة والمطارين والاساقفة والكهنة . فمن ثمّ عنصر الانحلال يحلّ كل شيء ويفكّه من بعضه . فاذا ما رفعت الرياسة التي انما هي غلق العقد ومفتاحه فيهبط البنا كله ويسقط ويضحي خراباً . فلا نرى حينئذٍ الّا جثة منتنة بدلاً من ذلك الجسد الذي كنا سابقاً نتعجب منذهلين من حياته وجماله وقوته وبهاء اشعة اللاهوت عليه *

أرأيت يا ايها الحبيب ما كانت تؤمن به وتعلّمه منذ عشرة اجيال الكنيسة الشرقية والغربية . ليت شعري ترى من هو الذي غيّر هذا النظام وبدّله . فاني ادع لك الحكم على ذلك . ان جزيل اهمية الموضوع حملتني على الاسهاب بل وعلى تجاوز ما رسمته على نفسي من الحدود . ومع ذلك فاني

اقف ههنا رغماً عمّا ابتغيه . على ان الحق لا يخلو من محاسن تسبي فؤاد من يدافع عنه . فشأنه ان يذيق مالكه ومتأمله لذّات عذبة شهية . ومن ثمّ يذوق ابن الكنيسة حلاوة لا حد لها كلما اخذ يبشر بامه ويحبب الناس بها . فعسى انك لا تتاخر من ان تذوق هذه اللذّة الشهية . هذا واقبل ايها الحبيب صدق عواطف مودة محبك الصادق *

* الرسالة الثانية عشرة *

ايها الحبيب *

فلنرجع الآن الى تلك الاعصار التي كانت فيها الكنيستان متحدتين بايمان واحد لنرى من هو الذي ازاد ومن هو الذي حذف . فهذا هو جواب غبطة البطريرك القسطنطيني . فاننا نقبل طلب غبطته بمسرّة وحبور . فيكون التاريخ دليلنا وقائدنا . فيلقي اشعة انواره على هذه المسئلة . ومع انه لا يبيّن كل شيء مع ذلك فانه يوضح ما به الكفاة لانارة عقل القاري اذا ما القى الاغراض جانباً *

فاننا في مجرّد بيان الحوادث نرى السبب الاول للانشقاق . ونرى خمير الانقسام ملقىً في العقول ومختمراً رويداً رويداً . واخذ يمتد على وجه التدريج الى انه استولى اخيرا على الشرق كله . فيظهر لنا ان كمال الانشقاق لم يكن الّا نتيجة طبيعية نتجت عن ذلك المبداء الذي قد كان وُضع اولاً *

انه في سنة ٣٣٠ لم تكن القسطنطينية تلقّبت بهذا الاسم

بل كان اسمها بيزانسية . فلما نقل قسطنطين الملك كرسيه اليها سمّاها باسمه فاضحى اسقف بيزانسية اسقفاً للقسطنطينية عاصمة الملك ومقرّ الملوك والبلاط الملوكي ومركز الامور والاحكام فكبر وكبر كرسيه معه ولم يخلُ الامر بانه حاز اعتباراً وتقدماً بالنظر الى اقرانه . فهكذا اضحى الكرسي حالاً خاصّة اعضاء العائلة الملوكية او جلساء البلاط الملوكي الاكثر نفوذاً وحذاقةً . فالذين رُقّوا الى هذا الكرسي كان ارتقاؤهم اليه على سبيل الانعام . ومن ثم لكي يثبتوا في نعمتهم كثيراً ما اضطروا لاظهار المسائرة والتساهل . ولذا لم يرَ اساقفة القسطنطينية موافقاً بل ولقد رأوا انه ممّا يضاد علو مقامهم ان يسلّموا المحل في الجمعيات الرسمية الى الاساقفة والبطاركة الاخرين . بل والملوك انفسهم افتكروا بانه ممّا يليق بعظمتهم ان يميّزوا كرسي العاصمة ويرفعوه فوق الاخرين *

فهذا كان السبب الذي اوصل اخيراً الى الانفصال . ومن ثمّ فاننا نستقرئ الامور فنرى سعي هذا المقصد المشار اليه *

ففي المجمع الاول العام الذي انعقد في هذه المدينة في سنة ٣٨١ تحت عهد الملك تيودوسيوس قد أُعطي لكرسي القسطنطينية التقدم امتيازاً وتشريفاً بعد اسقف رومية وذلك لان القسطنطينية كانت رومية الجديدة . لكنه وان لم يكن هذا التقدم الاّ امتيازاً وتشريفاً فقط لا توليا . بل حفظاً ومحاماةً عن حقوق الكنيسة الرئيسية اي كنيسة قيسارية (عمل ٢ و٣) . فمع ذلك لم تقبل كنيسة رومية ولا كنيسة الاسكندرية القانون

المذكور. فقاوم الاحبار الرومانيون هذا المدّعى ولم يرتضوا به الّا في سنة ١٢١٥ في المجمع اللاتيراني الرابع *

لكن اطماع البشر وحبهم الرفعة لم يكتفِ بذلك. فترى اسقف القسطنطينية قد اخذ حينئذٍ لقب بطريرك. وفي اوايل الجيل الخامس اي بعد مرور سنين قليلة من انعقاد المجمع القسطنطيني حاز البطريرك اتيكوس من لدن الملك تيودوسيوس الشاب شريعتين بموجبهما توسّع تولّي بطريركيته على كل المشرق. وهو اولاً. انه لا يُنتخب اسقف في اسيا الّا برضا وساطة البطريرك القسطنطيني. ثانيًا وانه لا يُنهى ولا يُحسم امر في ايليريا ما لم يطّلع عليه اولاً البطريرك المومأ اليه الذي افتخر مزدهيًا بانه يتمتع بامتيازات رومية القديمة (البولانديستيون يوم ٨ من كانون الثاني في سيرة القديسة بولكيريا) *

وفي سنة ٤٥١ في المجمع الخلقيدوني قد صار الجدّ والجهد بان يُدخل حيلةً واختلاسًا قانونٌ بموجبه يُقال بان مدينة القسطنطينية بما انها كرسي المملكة والحكومة يقتضي ان تكون لها امتيازات رومية ذاتها في النظام الكنائسي. وان تكون الثانية بعد رومية. حتى ان اساقفة ابرشيات بونطوس وتراشيا واسيّا واساقفة الابرشيات المقامة عند البرابرة يرتسمون من بطريرك القسطنطينية بموجب الانتخاب القانوني المقدّم له *

فنهض القديس لاون ضد اختلاس هذا السلطان ورفض تثبيت هذا الحكم وجاوب على الطلب الذي تقدم له بالحاح قائلاً :

ان وجود الملك شأنه ان يقيم مركزًا ملوكيًا . لكنه لا يقدر ان يقيم كرسيًا رسوليًا لان الامور الالهية لا تترتب ولا توزن بميزان الاميال البشرية (ناتاليس في التأريخ الكنايسي الجيل ٥ مقالة ١٥ فصل ٢ و ٣) *

وفي سنة ٤٧٢ حاول اكاسيوس اجراء هذا القانون ولما لم يستطع ان ينال تثبيته في رومية حاز المصادقة عليه من لدن الملك (بارونيوس سنة ٤٧٢) *

وفي تلك الاثنا عينها اخضع اكاسيوس الى رياسته المدّعاة بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم واساقفة اسيّا . فمع ذلك لم يزل يطلب من رومية تثبيت البطاركة الذين كان يسميهم . لكنه لما لم يحصل على هذا التثبيت في فرصة اقام فيها من لم يكن اهلًا للوظيفة عوضًا عن اسقف أُنزل عن مقامه زورًا وعدوانًا توصّل الى درجات من التجاوز حملت البابا فليكس الثالث على ان يرشقه بسهام الحرم (راجع رسالة سيمبليسيوس الى الملك زينون ورسالته الى اكاسيوس نقلها لابّي في كتاب المجامع المجلد ٤ — والقيين في كتابه المسمّى المشرق المسيحي مجلد ١ وجه ٥٥ — ٦٤) *

وفي سنة ٥٨٣ اتخذ يوحنا الصائم طمعًا وشرهًا لقب البطريرك المسكوني . فقاوم القديس غريغوريوس الكبير هذا اللقب العاري عن كل اسناد *

وفي سنة ٦٩٢ في المجمع المسمّى تريلو ذلك الذي امر يوستينيانوس الشاب بالتمامه . ابى سرجيوس الكبر

الاعظم ان يقبل اعماله وان يثبّتها ولا وجود في تلك الاعمال لامضا القصاد الرسوليين . ففي المجمع المذكور قد قيل في القانون ٣٦ ان الكرسي القسطنطيني يتمتع بذات امتيازات كرسي رومية القديمة . وان يكون نظيره في الامور الكنائسية بما ان له الرتبة الثانية بعدها . وان المحل الثالث يكون لكرسي الاسكندرية . والرابع لكرسي انطاكية . والخامس لكرسي اورشليم *

وها قد وصلنا الى سنة ٨٥٧ فأُجلس فوثيوس على الكرسي القسطنطيني من بارداس قيصر عم الملك ميخائيل الثالث عوضًا عن البطريرك اغناطيوس الذي عُزل من كرسيه زورًا وعدوانًا . فلم يثبّت البابا قيام فوثيوس بسبب عزل اغناطيوس العاري عن كل استقامة بل حكم بعزله من الكرسي البطريركي . اما هو فبدلاً من الطاعة والخضوع الملتزم بهما جمع بعض الاساقفة المتحدين معه وتجاسر بان يحكم على البابا بالعزل والحرم . فاخذ لنفسه لقب البطريرك المسكوني . وبداءَ حينئذٍ يتهم اللاتينيين بالارطقة بسبب اضافة الكلمات : ومن الابن ينبثق : في قانون الايمان *

فعزل الملك باسيليوس فوثيوس ورجّع اغناطيوس الى كرسيه . وبعد وفاة اغناطيوس رجّع باسيليوس فوثيوس الى كرسي القسطنطيني . فثبّته فيه يوحنا الثامن طالبًا بعض شروط لم توضع بالعمل . لان فوثيوس بعد ان اغوى قصّاد البابا بالرشوة بلغ الى هكذا حيلة وجسارة حتى انه حرّف كتابات البابا وتجاسر

على شجب المجمع الثامن المسكوني المنعقد سابقًا في سنة ٨٦٧ ، فجدد فوثيوس ادّعاه ورام ان يكون متساويًا باسقف رومية ، وان لا ترفع دعوى من الدعاوي الشرقية الى حكم البابا (راجع ما قاله نيشيطاس في سيرة القديس اغناطيوس البطريرك القسطنطيني ونقله لابّي في كتاب المجامع مجلد ٨) *

فلما جلس لاون الفيلسوف ابن الملك باسيليوس على تخت الملك في سنة ٨٨٦ عزل فوثيوس ونفاه فتوفي في منفاه *

ففي الجيل التاسع نفسه حاول بطاركة القسطنطينية اتساع سلطانهم على بولغاريا رغمًا عن مقاومة الاحبار الرومانيين وردعهم لهم *

فاخمدت وفاة فوثيوس نار الانقسام تحت الرماد ، لكنها لم تطفئها ، ولم يعد تشكي بسبب الاضافة : وينبثق من الابن : فلم تكن الكنيستان منفصلتين عن بعضهما وقتيئذٍ الّا بسبب دعوى اطماع بطاركة القسطنطينية ، تلك التي كانت دائمًا في نموٍ وازدياد ، فبقي الحال على هذا المنوال الى اخر الجيل العاشر ، واذا باحد البطاركة المسمّى سيسينيوس ثم سيرجيوس نسيب فوثيوس جدّدا مدّعا فوثيوس ضد رومية ، فتوصّل سيرجيوس الى ان رفع اسم الحبر الروماني من الاسرار المقدسة ، (راجع ما قاله لاون الاثيوس في كتابه المسمّى موافقة الكنيستين كتاب ١ فصل ٨ ونقله البولانديستيون في مقالتهم عن سلالة البطاركة القسطنطينيين في مجلد اول من اب) ، ومع ذلك لم يتمم سيرجيوس امر الانشقاق ، لان هذه

القسمة المحزنة قد اتخذها ميخائيل شيرولاريوس الذي جلس على الكرسي البطريركي في سنة ١٠٣٤ فاوصل الانشقاق الى الدرجة الاخيرة (١). وتبريرا لهذا الانفصال لدى اعين الشعب اضاف على مُدّعى فوثيوس بقضية: ومنبثق من الابن: تهمة اخرى جديدة ضد الكنيسة الغربية وهو انه لا يمكن تقديس جسد المخلص الّا على الخمير لا على الفطير (راجع ما نقله لانّي من المؤرخين في كتاب المجامع الجيل ٩) *

لا غرو ان القاري النبيه يكون قد سبق ولحظ نتائج هذه المسئلة وتاكد بان تقدم القسطنطينية واهمية مركزها لكونها اضحت عاصمة الملك كان السبب الاول المودّي للانشقاق. واما السبب الحقيقي فكان اولاً في شراهة واطماع ملوك الشرق لانهم زعموا اتساع سلطتهم بتوسيع سلطان اساقفة القسطنطينية. حيث ان هولاء كانوا دائماً تحت قبضة الملوك. ثانياً وفي

---

(١) حاشية. فغبطة البطريرك القسطنطيني عيّن وقت الانشقاق في زمان فوثيوس. اما نحن فعيّنا اوان تمرّد ميخائيل شيرولاريوس. على انه هو وقت انفصال الكنيستين. فانه حينئذٍ تم الانشقاق فقط اقله نظراً لمبداه. اما حقيقة وفعلاً لم يتم الّا بعد مدة مديدة وهذا سهل البيان اذا ما تسلمنا بالتاريخ. امّا نحن فاننا لا نقف عند هذا الحد التاريخي لانه لا مدخل له باهمية المسئلة. بل ان براهيننا لم تزل على قوتها سواء كان الانشقاق في سنة ٨٣٨ او ١٠٣٤ *

حب البطاركة للعظمة والافتخار فانهم كانوا يميلون طبعاً الى ارتفاع مقامٍ شأنه ان يعطيهم استقلالية محضة عن الحبر الروماني ويؤكد لهم نفوذاً كلياً في كل المشرق على سائر البطاركة والاساقفة الذين انما كانوا حقيقةً وفعلاً تحت سلطتهم . ثالثاً في المغايرة التي وقعت في ابتداء مملكة القسطنطينية بين الشرق والغرب . تلك التي كانت دائماً في نمو وازدياد . رابعاً . صعوبة الاتصاليّة مع رومية الامر الذي كان يتطلب في حوادث كثيرة سلطةً عظيمةً في بطاركة ومطارين الكنيسة الشرقية . وكان يحصر على وجه الاضطرار فعل الباباوات على هولاء الاساقفة *

فمهما كانت هذه النتائج فاني اخوّلك اعتبارها . اما انا فيمكنني ان استنتج من الحوادث المذكورة منا نتيجة تختص بموضوعي الحاضر . وهو انه ليس الكنيسة الرومانية هي التي قد حرّكت الانشقاق بل انها قد بذلت جهدها في استدراكه والاحتراز منه . وتأكيداً لذلك عليك بمراجعة التاريخ وامعان النظر بالحوادث المذكورة منا على ما جرت حقيقة . فلا ريب انه لدى تأملنا سياق وسعي التعديات التي صارت على سلطة الاحبار الرومانيين لا يمكننا الّا ننذهل متعجبين ممّا اظهروه من اللطف والتنازل . على ان الخوف من حدوث انشقاق كانوا يخشونه حملهم على ان يسلّموا للملوك وللبطاركة وللكنيسة الشرقية بجميع التسليمات التي استصوبوها

وظنوها توافق صوت ضميرهم ، فقد اغمضوا النظر بل واحتملوا وصادقوا كثيرًا على صكوك واعمال مضادة للسلطة السامية المختصة بنائب يسوع المسيح على الارض . لكن معاذ الله من ان يكونوا خسروا بهذه المصادقة احد حقوقهم الجوهرية . اي نعم قد صادقوا عليها لكنهم لم يخسروها بل وثبتوها بمثل هذه المصادقة . فانهم لدى وصولهم الى الحد الذي توزن لهم به ضمائرهم لبثوا عنده ثابتين غير متزعزعين ، وعرفوا ان يصرّحوا قائلين ، لا نقدر *

فاذا ما كنت في بحر هذا الاختلاف الذي استمرّ مدة سبعة اجيال تقريباً رأيت تارةً تردداً وتماهلاً واخرى تضادات ظاهرية . فسبب ذلك انما كان بُعد الاماكن ومصاعب الاتصالية . والاعراضات المضادة . والاميال البشرية . والاغراض النفسية . التي ظهرت في تلك الاتصاليات والمعاطاة مع بلاط رومية . فكيفما كان الامر فلم تُجرِ رومية شيئاً يحرّك الانشقاق لا بل انها قد افرغت جدّها لمنعه وملاشاته . وهذا ما يشهد به ويؤكده التاريخ *

اما الكنيسة القسطنطينية فلا يوجد ما يبررها من هذا الانشقاق حتى ولا المبداء المودوع بالاذهان اولاً لاجل امتياز كرسيها واخذ الاستقلالية رويداً رويداً . اي التقدم والاهمية اللايقين بالقسطنطينية لانها عاصمة الملك . فكانت رومية الجديدة . فهذا هو البرهان الذي قُدّم الى المجمع الثاني العام . وذلك لكي يعطي لهذه الكرسي التقدم امتيازاً وتشريفاً بعد اسقف رومية ، فهذا هو السبب ذاته الذي قد ذُكر في

القانون ٢٨ المضاف على اعمال المجمع الخلقيدوني الذي قيل فيه ان القسطنطينية بما انها مركز المملكة والحكومة ينبغي ان يكون لها الامتيازات ذاتها في النظام الكنائسي وان تكون الثانية بعد رومية . قُل لي نشدتك الله ما هو رأيك بهذا المبداء . لاشك ان اهمية المركز شأنها ان تحرّك الحبر الاعظم وتحمله على تسليمات وامتيازات خصوصية لاسقف ذلك المركز، وهذه الاهمية مما يبرر قداسته بهذا التسليم . لكن هذه الاهمية لا تكفي لكي يستطيع ذلك الاسقف بسلطانه الخاص او بقوة ارادة احد الملوك ولو مهما كان قديرًا ان يدّعي سلطانًا لم يكن له ولا حق له به عليه. لان هذا السلطان هو روحي ومنوط براس الكنيسة وحده . فقد كتب البابا لاون بهذا الشأن فقال : ان وجود الملك في مكان ، شأنه ان يجعل ذلك المكان مركزًا ملوكيًا لكنه لا يستطيع ان يجعله كرسيًا رسوليًا . لان الامور الالهية لا توزن بميزان الاهواء البشرية : *

واني اقول لمن لا يزال مصرًّا على محاماة هذا المبداء . ان كانت كنيسة القسطنطينية اضحت بطريركية لان القسطنطينية اضحت عاصمة الملك . فحيث لم تعد هذه المدينة تخت ملك الملوك المسيحيين فمن ثم لا سبيل لان تكون ممتازةً، فوالحالة هذه لا حق لاسقفها بان يتلقّب بلقب بطريرك مسكوني . فاذاً عاد الاولى بك ان لا تستند على هذا البرهان لانه ان كان صحيحًا هدم ذلك البنا الذي ترفعه على هذا الاساس، ولا شك بانه يثبّت اثباتًا قويًا

بانه لم يُعد سبيل لابقاء تقدم الكرسي القسطنطيني . وان امتيازات هذه الكنيسة ان كانت وجدت مرة فقد انهدمت الآن من اساسها وتلاشت مضمحلة باضمحلال ذلك السبب الذي كان علّةً لوجودها *

ان تاريخ هذا الاختلاس الذي كان يأخذ دائماً بالسعي والنمو يقدّم لنا دليلاً اخر بانه كان عمل البشر ولا عمل الله تعالى . فقد لحظت جيداً ايها الاخ الحبيب بانه في اول الامر لم يُعطَ التقدم لاسقف القسطنطينية الاّ شرفاً وامتيازاً . ثم اخذ ذلك الكرسي ان ينسب لنفسه رياسةً حقيقية . فهذه في الابتداء انحصرت ضمن حدود ثم أُخذت بالاتساع ثم لم تعُد تعرف لها حدوداً الاّ المشرق وغب ذلك وثبت على بلاد البولغاريين . فكرسي القسطنطينية قد اقام ذاته اولاً في مرتبة ثانية مع رومية ثم وضع ذاته في منزلة واحدة معها الى انه نسب لذاته اخيراً سلطاناً على رومية واخذ يشجبها ويحرمها . قل لي نشدتك الله أهل ان هذا السعي صوابي وهل انه يطابق المبداء الذي وضعته . فان كانت عظمة المدينة واهميتها شانهما ان يحكما على علو مقام الكرسي الاسقفي وانه بموجبها يوزن اتساع سلطانه لِمَ لا ننسب لتلك الاعصار الجليلة اعني بها اعصار الملك قسطنطين الكبير وتيودوسيوس ما تسلّم به لولاة اذلاّء غير اهلٍ لان يتولوا زمام هذه الطائفة العظيمة . لماذا ننكر على ذلك المخلَّد الذكر اعني به الذهبي الفم ما تسلّم به لبطاركة ملوميين ولا يقرّ

انسان بلياقتهم لهذا المقام السامي *

فان كان تبريراً لارتفاع الكرسي القسطنطيني يقتضي الالتجاء الى رغبة المشيئة الالهية ليت شعري كيف اتفق بان هذه المشيئة الازلية تأخرت مدة سبعماية سنة متوالية عن ان تعطي لهذا الكرسي نظاماً وتمنحه كل ما يقتضي له من السلطة . كيف ان العناية الالهية لكيما تري العالم في الكرسي القسطنطيني مركز النور والحيوة قد اهملت وتركت تلك الاعصار التي تلألت باشعّة انوار كواكب البيعة المقدسة نظير الذهبي وغريغوريوس وبروكلوس وابقت ذلك للاجيال المظلمة التي انطفأت بها انوار الكنيسة الشرقية وتلاشت قوتها واضحت في ظلال الموت *

فمن ثم قد اتضح ايها الحبيب بان تلك الحادثة المشومة التي غرّقت في بحر الظلام الادبي جزءًا عظيماً من النصرانية لم تسببه الكنيسة الرومانية لا بل انها افرغت جهدها منعاً لهذه البلية . فعبثاً يُدّعى تبريره بتغيير احوال القسطنطينية سياسياً وان هذا التغيير قد اوجب تغييراً يحاكيه في مقام اسقف القسطنطينية وسلطانه . لعمري على ايما شيء يمكننا الاستناد لكي نعذر فوتيوس وميخائيل شيرولاريوس . فانهما قد اخترعا طريقة اخرى تبريراً لهذا الانشقاق وبثّاها في العقول والاذهان . وها اننا نأخذ بالبحث عن قوتها وقيمتها . لكن قبل الشروع بذلك نستصوب الوقوف ههنا لحظةً . هذا ونهديك وفور الحب لاحترامي الصادر عن فؤاد محبك الصادق *

* الرسالة الثالثة عشرة *

ايها الحبيب *

قد يُخال لي بانها لم تبرح من ذهنك كلمات القديس ايرونيموس المذكورة منا انفاً . حيث قد قال هذا العلاّمة الجليل انه ما من انشقاق الاّ ويخترع بعده ارطقة لكي يبرر انفصاله عن الكنيسة (في تفسيره رسالة بولس الى طيطوس) . وما كان حقيقياً في زمان هذا القديس لم يزل جارياً فعلاً الآن من ذينك المبدعين الذين كانوا سبب هذا الانشقاق الواقع البحث عليه . فقد اتبعا هذه الاثار وتعلّلا عن انفصالهما عن رومية باضاليل الـقوها على هذه الكنيسة (١) *

---

(١) حاشية . فهذا حذوٌ قد حذاهُ في عصرنا الحاضر القس المسمّى جاته فرنساوي الاصل . فقد خرج هذا الجاحد من حضن الكنيسة الكاثوليكية منذ سنين واعتنق المذهب المسكوبي وذلك لان الحبر الاعظم رفض تآليفه عن تاريخ البيعة . اما هو فتبريراً لضلاله وارواءً لغليل بغضه وحقده ضد بيعة الله المقدسة اخذ يجدد في تأليفاته جميع الاضاليل الاولية . وعنها قد ظهر اشارة في احد مؤلفاته المسمّى : كتاب حقايق الارثودكسية واختلافات النصرانية : المترجم حديثاً الى العربية والمطبوع في بيروت . لا بل ان هذا الجاحد لشدّة حنقه اخذ بالافتراء والثلب ضد السدّة الرسولية . فقد نسب اليها اضاليل

ليت شعري هل ان هذه شكوى ذو قوة، وقيمة . أهل توجد فيها حجة كافية للانشقاق ولتبرير فوتيوس وميخائيل شيرولاوس. فهذا ما نحن عتيدون ان نبحث عنه سويةً . ومن ثم لا يليق بنا ان نترك حجة للضلال ولا ادنى ظل، يغطّي الحق ويظلم انواره . ليت شعري ترى ما هي الاضاليل التي طالما قد نسبتها الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية واعدّتها ارطقة . فخلا رياسة الحبر الاعظم التي قد اثبتناها احسن اثبات نرى اضافةً في قانون الايمان بلفظة : ومن الابن : وذلك لنبيّن بان الروح القدس هو منبثق من الابن كما انه منبثق من الاب . ثم وجود المطهر . وسعادة القديسين الحالية في السماء حتى وقبل قيامة الاجساد . واستعمال الفطير . والمعمودية بالنضح لا بالتغطيس . فهذه هي الامور الرئيسية التي استندت عليها الكنيسة الشرقية واخذت تقرّف بها الغربية وتتهمها الى الارطقة بسببها *

حرّمتها . ومن جملة ما قاله هو ان تآليف القديس الفونسيوس ليكوري الادبية ما هي الّا سلسلة براهين سفسطية افسدت الضمائر. فمن كان على هذه الصورة ولا تأييد لبرهانه سوى مجرّد ارادته الكاذبة أهل نرى عجباً من قوله أن رياسة البابا بدأت في الجيل التاسع . لعمري فكيف نثق بكلام من لم يلتفت الى حقيقة التقليد وصحة تعاليم المجامع المسكونية والاباء القديسين الذين يؤكدون الخلاف كما يتضح مما اوردناه من تعاليمهم بهذا الشان *

فبطلان هذه التهم يتضح اتضاحاً جلياً اذا ما اثبتنا بان الثلث القضايا الاولية التي تختص بالمعتقد قد عُلّمت صريحاً وجلياً من علماء واباء الكنيسة الشرقية الذين ادرجوها في ليتورجية هذه الكنيسة . وان باقي القضايا ما هي الّا طقوس مستعملة منذ الابتداء من الكنيسة الغربية ولا تثلم جوهر الاسرار *

اني متأكد ايها الحبيب بان اغلب هذه المسائل خلا رياسة الحبر الروماني يعدّها كثيرون من اخوتنا المنفصلين عنا اعتراضات ليس تحتها طائل . بل وان هذه التهم قد سقطت من عين ذاتها لدى اهل العلم بازاء الحوادث البيّنة وانوار المعارف والعلوم . اما الذين لا وقت عندهم للتعلّم والمطالعة فقد بدد من اذهانهم هذه الاوهام التعليم المسيحي وميلهم طبعاً الى الحق . وما قد ذكرناه في اول رسالة يليق بنا تكراره الآن . فانه كلام يتفوه به كثيرون من جماعتكم اذ يقولون بانه لا فرق بيننا وبينكم . واننا لا ننفصل عن بعضنا الّا بمسائل عرضية لا معنى لها . وقد كان يمكنني ان اضرب صفحاً عن هذه التهم القديمة العهد ومع ذلك لاح لي ان اتكلم عن هذه الابحاث وان لا اترك شيئاً الّا وارضي رغبتك بتبيانه في هذه الامور المهمّة *

هات الآن نتكلم عن ما يتهموننا به اولاً . اي عن المسائل التي تختص بالمعتقد . فانها ليست فقط لا تتضمن ارطقة ينسبونها الى الكنيسة الغربية . بل انها تبيّن لنا حقايق مُسلّم بها في كل زمان من اباء وعلماء الكنيسة

الشرقية والغربية معاً . وان ما يقرفونا به من الامور الطقسية قد وُضع بالعمل منذ انشاء الكنيسة ولا يثلم جوهر الاسرار وليس هو اصلاً سبب كافٍ للارطقة *

فخشيةً من كثرة الايجاز اذا ما اوجزنا الادلّة ثم وخوفاً من الاسهاب اذا ما اكثرنا الشهادات قصدت ان اذكر مدققاً تآليف الاباء القديسين حيثما نرى رأيهم . وذكرت من ليتورجية الكنيسة الشرقية تلك الاماكن التي تأييد الحقايق الواقع عليها البحث . ومع ذلك ان ابتغيت فيما بعد زيادة الايضاح او اذا ما اتيت في بعض مسائل خصوصية لاحت لك قليلة التبيان فاني مستعد منذ الآن ان ابحث معك بحثاً مدققاً عن هذه المسائل الخصوصية *

* اولاً عن انبثاق الروح القدس *

أهل ان الروح القدس ينبثق من الابن كانبثاقه من الاب . أهل كان من باب المناسبة ان تذكر هذه الحقيقة في قانون الايمان باضافة لفظة ومن الابن . فهاتان مسئلتان تختلفان عن بعضهما . فالمسئلة الاولى تختص بالمعتقد اختصاصاً جوهرياً . والثانية لا تختص به اصالةً *

فنظرًا للمسئلة الاولى فاننا نثبّت قائلين بان اباء الكنيسة الشرقية قد اتحدوا رأياً وعلّموا مع الاباء الغربيين بان الروح القدس ينبثق من الابن والاب . راجع بهذا الصدد اولاً ما كتبه القديس باسيليوس عن الروح القدس الى امفيلوغوس في الرأس الثامن نحو الاخير. ثم وضد كتاب اونوميوس فصل ٣ *

٢ً . القديس كيريللوس في خطابه الى نسطوريوس ثم وفي تفسيره قول يوئيل النبي القائل : واني اسكب من روحي : ثم وفي الكنوز كتاب ثاني *

٣ً . القديس غريغوريوس نيصص في خطبته عن الصلوة الربية *

٤ً . القديس اثاناسيوس في خطبته عن سر التجسد . ثم وفي قانون الايمان *

٥ً . والذهبي الفم في خطبته عن تجسد الرب *

٦ً . القديس ابيفانيوس في كتابه المسمّى انكوروتوس . راجع ايضاً تراتيل وصلوات الكنيسة الشرقية لاسيما المختصة باحد العنصرة وبالثمانية الايام التي تليها *

فاتفاق اراء اباء الكنيسة الشرقية مع اباء الكنيسة الغربية في هذه المسئلة الجزيلة الاهمية قد تبيّن واتضح اتضاحاً جلياً في مجمع فلورنسا *

اما المسئلة الثانية فلا مدخل لها بالمعتقد . فقد كان حرّم المجمع القسطنطيني ان لا يضاف شيئاً على قانون الايمان . لكن هذا التحريم كان على اضافة تُضاف من اناس خصوصيين وخارجاً عن رأي الكنيسة . التي لا يزال لها تمام الحرّية بان تفسّر وتوضّح ايمانها وتعبّر عنه تعبيرًا جلياً متى انمسّ الايمان واندق به في مسئلة ما . فان ما عمله واستطاع المجمع القسطنطيني ان يعمله فيستطيع ان يعمله ايضاً مجمع اخر عام . ومن ثمّ فلكيما تحارب الكنيسة محاربة فعالة ارطقة السابليين ولكي تعبّر

من ايمانها تعبيرًا جلياً نظراً لانبثاق الروح القدس اختارت اضافة : ومن الابن : فقد استعملت سلطاناً خاصاً بها ولا يستطيع احد ان ينازعها عليه. السلطان الذي كلٌّ من المجامع العمومية استعمله وتصرّف بموجبه حسب مقتضى الظروف *

والحال ان هذه الاضافة قد كانت صارت اولاً في اسبانيا في سنة ٤٨٢ ضد ارطقة السابليين الذين لكيما يثبتوا بان الابن ليس هو مساوٍ للاب بالجوهر وليس هو الهاً حقاً استندوا على عدم تبيان قانون الايمان بان الروح ينبثق من الابن . وهذه الاضافة قد دخلت رويداً رويداً في الكنايس ولم يدعِ انسان بانها اضافة تضاد الايمان الحقيقي الى ان قام فوثيوس وادّعى هذه الدعوى . أما انه من المحقق ايضاً بان المجامع العمومية التي صارت في بحر هذه الاربعماية سنة لم تتفوه بشيء ضد هذه الاضافة . وان الاحبار الرومانيين مع انهم لم يضعوها حالاً في ليتورجية الكنيسة لم يروا فيها شيئاً يستوجب الملام . لا بل وان فوثيوس نفسه لم يجعلها موضوعاً للتهم الا لما ارتأى بان زعمه هذا يخفض جسارته ويلطف انشقاقه *

* في المطهر *

ان كلاً من الكنيستين الشرقية والغربية تؤمن بعذاب الانفس البارة التي لدى خروجها من هذه الحيوة لا تستطيع الدخول حالاً الى السماء بسبب ديونٍ تلتزم بايفائها للعدل الالهي . فتفتكر بل وتؤمن المؤمنون بانه يمكن مساعدة هذه الانفس بالصلوات والاعمال الصالحة . وانه مسلّم من الجميع بالفرق

الجوهري بين عذابات الهالكين تلك التي هي ابدية وبين عذاب الانفس البارة التي لم تتطهر تطهيراً كاملاً . فان عذاباتها زمنية * ففي كنيسة القسطنطينية وكنيسة رومية ايضاً قد تقدمت دائماً قداسات احتفالية وغير احتفالية لراحة الموتى . ومن عادة البطاركة القسطنطينيين والاورشليميين ان يمنحوا غفرانات يجوز اختصاصها بالموتى * فاستعمال الصلوة وتقدمة ذبيحة القداس عن انفس الموتى هو من الامور القديمة جداً * وقد ذكرته ذكراً صريحاً ترتيبات الرسل (الكتاب الثاني الراس ٢٤) *

راجع اً . التيبكون او كتاب الطقس اليوناني رأس ٣٠ *
٢ً . جناديوس بطريرك القسطنطينية في خطبته عن المطهر *
٣ً . القديس غريغوريوس نيصص *
٤ً . القديس ابيفانيوس في كتابه المسمّى باناريون *
٥ً . القديس يوحنا فم الذهب في خطبته عن التوبة وفي ميمره ٤١ على رسالة بولص الاولى الى اهل قرنتية *
٦ً . القديس يوحنا الدمشقي في خطبته عن الاموات *
٧ً . وعدد عظيم من التراتيل التي تترنم بها الكنيسة الشرقية تثبّت هذه الحقيقة تثبيتاً جلياً . راجع الوكولوجيوم في فرض الموتى ونسبحة تُرتّل في نهار السبت وفي الفرض الكبير *

فلدى امعان النظر بهذه الاثار الجليلة والشهود الصادقة عن وحدة الايمان في الكنيستين الشرقية والغربية لا بد من ان يسأل السائل قائلاً ما هو سبب اتهام الكنيسة الغربية بالارطقة . فواكحالة

هذه لا بد من الوصول الى هذه النتيجة وهي ان اختلاف الكنيستين انما يتوقف على لفظة مطهر ترفضها الكنيسة الشرقية لانها لم تُذكر في الانجيل . فكلا الكنيستين تتفقان على صحة الامر . فمن الواضح البيّن للعيان بانه لا يوجد سبب كافٍ للانفصال ولا مادة للارطقة *

* في سعادة القديسين في السماء *

ان بعض الشرقيين غير المتحدين علّموا بان انفس الابرار والصديقين توجد في محل راحة حيثما تنتظر الدينونة العامة . ومع ذلك فهذه الانفس لا تتمتع بالغبطة السماوية . فيلوح بان هذا الراي لم يعد له وجود عند اكليروس الشرق . ومن ثمّ لا اقتضا للاسهاب عنه . لكننا نقول فقط وذلك بشأن اولئك الذين لا يزالون يرتابون بذلك بان الاباء الشرقيين والليتورجيات المستعملة في الكنيسة الشرقية هي متفقة التعليم مع الكنيسة اللاتينية *

راجع ١ . الذهبي الفم ميمر ٣ في رسالة بولس الى اهل فيلبوس *

٢ . القديس غريغوريوس النزينزي في مرثاية القديسة جورجونيا *

٣ . القديس غريغوريوس العجائبي في ميمره الاول عن بشارة العذراء *

٤ . تسبحة بشأن القديس بطرس في يوم عيده *

٥ . تسبحة بشأن القديسات الشهيدات مينودورا . وميترودورا . ونيمفودورا في ١٠ ايلول *

٦ً . تسبحة بشأن القديس ارسانيوس في يوم عيده *

٧ً . تسبحة بشأن القديسين كريستوف وكالليـنيكوس وغريغوريوس التسالونيكي *

* في الفطير *

اما مسئلة الفطير فلا تثلم صحة السرّ . فهي اختلاف في الطقس لا فرق في الايمان . فما قاله القديس متى البشير في الاصحاح السادس والعشرين : ولما كان اليوم الاول من الفطير : هو مما يوافق رأي الكنيسة اللاتينية . فمن ثم يحق لنا ان نجاوب بما قاله القديس لاون التاسع في رسالته الى شيرولاوس قائلاً : فاذاً في بحر اكثر من الف سنة منذ الام المسيح قد جهل الكرسي الرسولي ولم يعرف كيف يقتضي عمل تذكار هذه الذبيحة المقدسة : *

فسنكساري الكنيسة الشرقية يوم خميس الاسرار المصنوع من القديس قوزما يفترض ايضاً بان الرب له المجد استخدم الفطير لاجل التقديس . ويبان ايضاً ان الكنيسة الشرقية قد استعملت الفطير حتى الجيل الرابع *

وبالحقيقة انه لما تسمّى القديس غريغوريوس اسقفاً على ارمينية من ليونسيوس رئيس اساقفة قيصارية كبادوكية ادخل الطقس الشرقي في تلك البلاد واقام استعمال الفطير الذي بقي الآن عند الارمن . فكيف اتفق بان القديس غريغوريوس الذي تربّى عند القديس ليونسيوس في الطقس الشرقي وأُرسل منه الى بلاد الارمن وتكرمه الكنيسة الشرقية

باكرام القديسين يكون ادخل هذا الادخال . فعلى فرضية ادخاله هذه العادة فان كانت هذه تتضمن ارطقة فكيف كرمته الكنيسة الشرقية باكرام القديسين *

* في العماد بالتغطيس او بالسكب او بالرش *

اني لا اطيل الشرح عن المعمودية بالتغطيس او بالسكب او بالرش . فهذه الانواع الثلثة صحيحة وقد استُعملت في ظروف مختلفة . فالامر الجوهري هو ان يكون نضح وان تكون المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس . فاكليروس القسطنطينية في سنة ١٨٥١ قد اقرّ بصحة المعمودية بالرش في بعض الظروف . راجع كتاب اللاهوت الاعتقادي الذي الّفه مسقوبولوس وطبع في سيفالينية سنة ١٨٥١ . والكنيسة المسكوبية ذاتها مع انها تعمّد بالتغطيس لا تنكر صحة معمودية الكنيسة اللاتينية بالرش *

نشدتك الله قل لي أهل من انسان ذي عقل يزعم ويتفوّه بان في مثل هذه الاختلافات الخارجية المختصة بالطقوس تلك التي لا تمسّ المعتقد البتة . والتي الكنيستان المتحدتان في ايمان واحد لم تحرّماها ابداً بل واستصوبتاها واستحسنتاها دائماً . أهل من ذي عقل يحكم عليها بانها سبب كافٍ لانفصال الكنيستين عن بعضهما . فمن ثم من اورد مثل هذه الايرادات وتعلل بمثل هذه التعليلات فانه يعفينا عن دحضها ومقاومتها *

انه لما كتب فوتيوس الى البابا نيقولاوس الاول ملتمساً منه ان يثبته على كرسي القسطنطينية قال له : بما ان العوائد

تختلف حسب اختلاف البلدان فان كانت لا تمسّ الايمان ولا تضاد المجامع العمومية فلا يستطيع ذو عقلٍ واستقامةٍ ان يلوم من يسير بموجبها او يقرف من لا يعتنقها لكونها لا تجري في بلاده . فهذا ما يحكم به كل عاقل اتصف بالاستقامة والعدل : هذا ما قاله فوثيوس . ليت شعري ترى لماذا برحت من ذهنه حالاً هذه القاعدة ولماذا نسيها تابعوه . فما ذاك الّا تبريراً لانشقاقهم *

فمن يدّعي ان في مثل هذه الاختلافات الطقسية سبباً للارطقة ويتهم بها الكنيسة الرومانية فاننا نجيبه قائلين . ان كل هذه الاختلافات مصادق عليها من الايمان وممارسة من الكنيسة في مدة اجيال كثيرة قبل الانشقاق ولم تقاومها الابا القديسون ولم تحرّمها المجامع العمومية . ومن ثم فالذين بعد مرور احد عشر جيلاً قد وسموا هذه الاحتفالات بسمة الارطقة فانهم يضادون المجامع العمومية التي صارت قبل كمال الانشقاق وانهم يقيمون الحجة والدعوى ضد بيعة المسيح المقدسة ويتهمونها بالخطا ضد الايمان ويشجبونها حاكمين ضدها . على ان الكنيسة اذا ما احتملت الضلال فكأنها تصادق عليه وتعلّمه لانها ملتزمة على حدٍ متساوٍ بان تحارب التعاليم الكاذبة وان تكرز بالحق . لا بل فانهم يهدمون الكنيسة من اساساتها . لان كنيسة المسيح الحقيقية انما هي جوهرياً مقدسة وجوهرياً معصومة من الخطاء . ومن ثم ان من افترضها اراتيكية فانه قد نكر وجودها وهدمها . لانه

اذا ما دخل ضلال فيها جهارياً اطلعت عليه ولم تقاومه وتحاربه ترى اين تكون قداستها واين تكون عصمتها وما الذي يكون من وعد المسيح لها بان ابواب الجحيم لا تقوى عليها . وهذه نتيجة صادقة لا يمكن التخلص منها . وبما انها نتيجة تتجاوز الحد المرسوم لا شك انك لا تسلّم بها . فاذاً ينبغي جحد المبدا الذي نتجت عنه ضرورةً *

فاذاً ليست الاختلافات المتنوعة الواقع تحتها المسائل المذكورة منا اعلاه كانت العلة الاولى للانشقاق . لكن هذه المسائل لم تكن سوى معذرات تبرره *

وهاك ملخص البراهين الرئيسية والادلّة الجوهرية التي قدّمناها في رسالتنا الحاضرة حيثما اثبتنا بان لا تبرير للانشقاق بما اخترعه اربابه من اتهامهم كنيسة رومية بالارطقة *

فقد اثبتنا اولاً بان المسائل المختصة بالمعتقد قد وقع الاتفاق عليها ما بين ابناء الكنيسة الشرقية والغربية . ثانياً وانه نظراً للمسائل المختصة بالطقس لا وجود لما تُبنى عليه تهمة بالارطقة لا بل انه ليس فيها حجة للانشقاق ولا للاعتذار عنه *

فلاح لي باني قد اوضحت هذه المسائل على ما ينبغي من الايضاح . لكنه ان ارتأيت الخلاف . فاني مستعد لان ازيدها تبياناً هذا ان ابتغيت الزيادة . وثق ايها الحبيب بصدق عواطف محبك الصادق *

* الرسالة الرابعة عشرة *

ايها الحبيب *

انه منذ تمام الانشقاق الى ايامنا هذه قد مضي اكثر من ثمانماية سنة . وقد صارت في كل هذه المدات المبادرة الى اتحاد الكنيستين سوية . وكادت رغبة كثيرين من مشاهير الشرق والغرب ان تتحقق في فرصتين شهيرتين في التاريخ . اللتان لوجود مناسبتهما بموضوعنا الحاضر لم نستصوب عدم التكلم عنهما . فبالحالة هذه انناً نتكلم عن مجمعي ليون وفلورنسا *

اما مجمع ليون فكان في سنة ١٢٧٤ باعتناء البابا غريغوريوس العاشر وميخائيل باليولوغوس ملك القسطنطينية . وقد التئم في هذا المجمع عدد يعلو كثرةً على باقي المجامع لانه قد اجتمع فيه من طرف اللاتينيين اكثر من خمسماية اسقف ثم وعدد غفير من اولوا المقامات الكنايسية وروساء الرهبنات . وكان فيه ايضاً معتمدوا الكنيسة الشرقية وصلوا اليه بعد الجلسة الثالثة حاملين كتابات ثمانية وثلاثين اسقفاً وباسم سينودوس ابرشياتهم امضوا صورة الايمان المقدمة من اكليمنضوس الرابع ضد اضاليل المشاقين وتحالفوا بانهم متمسكين بهذه الصورة . لكنهم قد طلبوا فقط بان يؤذن للروم بان يبقوا على طقوسهم وعوايدهم تلك التي لا تضاد الايمان *

ففي الجلسة الرابعة بعد تلاوة تلك الكتابات كاتب المملكة جرجس اكروبوليت ويوحنا فاكوس كاتب الكنيسة

القسطنطينية وسائر المرسلين ركعوا امام البابا وصرّح اولهم باسم الملك والثاني نيابةً عن الاساقفة بانهم قابلون ومعتقدون قلباً ولساناً وانهم تمسكوا ويتمسكون دائماً بعقائد صورة الايمان التي كانت قد تليت وقتئذٍ . لاسيما برياسة الكنيسة الرومانية التي خضعوا لها طوعاً واختياراً واعترفوا بانهم يقدّمون لها تمام الطاعة. وقد انتهت تلك الجلسة بارتفاع اصوات الترتيل مترنمين بتسبحة الشكر وبتلاوة قانون الايمان الذي كررت فيه الروم على مرتين كما وانهم قد اجروا ذلك سابقاً في قداس البابا الاحتفالي نهار عيد مار بطرس قائلين : اننا نؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي ينبثق من الاب والابن: *

اما مجمع فلورنسا فقد صار بعد مجمع ليون بنحو مايتين سنة وذلك ١٤٣٨ . وكان الفرق بين هذين المجمعين هو انه في مجمع ليون امضت الروم على صورة ايمان مقدمة لهم حتى وقبل حضورهم الى المجمع فيما انه في مجمع فلورنسا قد اقيمت المباحثة ثانيةً على كل المسائل الواقع عليها الاختلاف بين الكنيستين. وقد بُذل الجهد باظهار الحق واشرقت انوار شموسه كالشمس في رابعة النهار. فبقي المجمع سنتين وكان الاتفاق فيه تاماً ولم يقع شيء يترك محلاً لادنى اختلاف. خلا ما جرى من احد اساقفة الروم الذي هو وحده لم يشاء الانضمام باخوته ومن ثم لم يمضِ على الصورة المتفق عليها من معتمدي الكنيستين *

ولهذا قد اطّلعنا بكل دهشة وتعجب على ما قاله غبطة البطريرك القسطنطيني في جوابه وهو : ان الاناس الجهلاء

وحدهم لا يعرفون ما قد قيل وكُتب ضد مجمع فلورنسا . على انه حالما انتهت الجلسة الاخيرة اضمحل ذلك الاتحاد الاغتصابي . هذا وان جمعية ملتئمة عن اسباب سياسية وغايات ارضية محضًا وآلت مداولاتها الى نهاية محتوم بها لمدة على البعض منا من البابا المالك وقتئذٍ وذلك بقوة الجوع وكل نوع من الاغتصاب لا تستحق حتى ولا اسم سينودوس: *

فقد يمكن بان اسبابًا سياسية وغايات بشرية فعلت بيوحنا باليولوغوس وهب ان ذلك كان حقًا فلا ذنب للبابا وللاساقفة . لان المجمع قد التئم لامور اخرى خلافًا لما يُدّعى من الغايات . لكن ليت شعري أهل انه امر حقيقي مؤكد بان الانشغال كان محضًا لاجل خير مادي . وهل ان تلك الاخطار التي كانت محيقة بالمملكة لم تكن تحيق ايضًا بالكنيسة وباستقلالية الايمان . فعلى التاريخ ان يحلّ هذا المشكل . وبالحقيقة نرى جميع حوادث ذلك العصر تنادي علنًا ضد هذا المدّعى *

لكن هاك ما كان ابلغ من كل ذلك وهو ان الاتحاد كان اغتصابيًا وان نهاية المجمع كان محتومًا بها من البابا وان ذلك الختم كان على البعض من جماعتنا وهذا بالجوع وبكل انواع الاغتصاب . كيف اتفق هذا يا صاح وهو ان الاتحاد كان اغتصابيًا فيما ان المجمع استمرّ سنتين وقد صارت التأهبات والاستعدادات اللازمة من مشاهير الانام المقامين من كلا الطرفين . وكانت المباحثة جهارية . على ان البابا اوجينيوس

الرابع لم يشاء بان تكون المباحثة خصوصية وسرية . فاذاً كان الجميع قادرين ان يحكموا على البراهين الموردة من كلا الطرفين . قد وقعت مباحثات كثيرة طويلة جدّية على كل من المسائل المختلفة . ونهاية المجمع صوّرتها جمعية مختلطة مؤلفة من عشرة من الروم وعشرة من اللاتينيين . وقد امضى عليها جميع المعتمدين الشرقيين خلا مرقس الافسوسي وحده . وكل ذلك جرى امام اعين الملك وامام اشهر ارباب الديوان الملوكي . ومع هذا انك تدّعي بان النهاية خُتم بها من البابا . نشدتك الله كيف استطعت ان تتفوه بمثل هذا الكلام *

فلقد تقول ان النهاية قد خُتم بصورتها على بعض جماعتكم . اما نحن فعندنا اعمال المجمع يونانياً ولاتينياً . بل وتوجد عند كل طائفة نسخة وقد اعطى ثلث نسخ أُخرى الثلاثة بطاركة المشرق . وهاك الترتيب الذي اتبعته الروم بامضائها صورة الايمان . فامضى الملك اولاً ثم ثانياً بطريرك الاسكندري ثم ايزيدوروس من كيوفية نيابةً عن بطريرك انطاكية . ثم رئيس اساقفة مونومباز ورئيس اساقفة نيقية عن بطريرك اورشليم . ثمّ امضى ما ناف عن الاربعين اسقفاً ورؤساء كنيسة اجيّا صوفيّا وكثيرون غيرهم من رؤساء الاديرة والرهبان نيابةً عن رهبناتهم واديرتهم *

اي نعم انك لا ترى امضا بطريرك القسطنطينية لكنه يوجد ما هو احسن من امضاه . على ان ذلك البطريرك وان يكن متقدماً في السن اراد مع ذلك ان يحضر المجمع فجرت امامه المباحثات على انبثاق الروح القدس . ولما كان هذا الحبر

مستقيم العقل والارادة ومحبًا الحق فعندما اتضحت لديه صحة التعليم وتلألأت شمس الحق اذعن حالاً واقرّ معترفًا به . وقد وجد من الحّ عليه بان لا يعجل باظهار رايه . لكنه لما شعر بانه كان على اخر حياته امر بان يحضروا اليه قرطاسًا ومدادًا . ومع ان يداه كانتا ترجفان لكبر سنه سطّر صورة ايمانه واوضحها ايضاحاً هكذا عجيبًا وفاقًا للمبتغى وذلك في كل مسئلة من المسائل الواقعة تحت الجدال . وكأن الله لم يكن منتظرًا منه ليوليه حسن الجزا سوى طاعته هذه السامية . لانه حالما رسم تلك الصورة التي انما هي وصيته الاخيرة سلّم روحه لله خالقه *

فاذًا ليس بعض جماعتكم فقط قد امضوا حسبما يُدّعي البطريرك القسطنطيني الحالي . بل وايضاً جميع اكليروس الكنيسة الشرقية بواسطة نوّابه *

ولقد تدّعي قائلاً: ان لا التفات لذلك ولا اعتبار به على ان الجوع وكل انواع الاغتصاب حملتهم عليه : لعمري ان هذه التهمة شأنها ان تشجب المشتكي اكثر من المُشتكى منه . لا غرو انه يصعب على القاري فهم مثل هذه الدعوى وكيف انها خرجت من فم بطريرك مسكوني لم يخشَ من نقل كذا تهم لا تليق بشأنه . اي نعم انه يجهل وهذا لعمري عار عظيم على من كان مثله عالي المقام فانه يجهل ولا يعرف اوجينيوس الرابع وفضله وفضيلته ولا يدرك كبر همّته وعظم شرف نفسه . بل انه يجهل بان هذا البابا النبيل قدّم بجود وسخاء كل مصاريف اساقفة الشرق

ليس في وقت المجمع فقط بل عن سفرهم من القسطنطينية الى فيراري والى فلورنسا ولاجل رجوعهم الى القسطنطينية . وقدّم ايضاً مصاريف الملك ايضاً ومعه سبعماية نسمة من حاشيته . لعمري أهذا هو الجوع والاغتصاب اللذان استعملا للوصول الى نهاية المجمع . كيف هذا أهل ان مجمعاً مسكونياً يكون عمله سرًّا وخفيةً . أمّا ان اغلب المسيحيين كانوا موجودين بذاتهم او مستحضرين من نوّابهم . أمّا ان ملك القسطنطينية نفسه كان موجوداً مع حاشيته وارباب دولته . أهل المسئلة كانت مع شخص واحد او مع خمسين او ستين اسقف تقريباً من مشاهير المملكة . أهل انه بالجوع والاغتصاب كان يؤمل للاتحاد الذي انما كان غاية المجمع الوحيدة . لكن لا حاجة لاطالة الشرح عن تهمة متلاشية من عين ذاتها لانها لا تُبنى ولا على شبه الحق بل وصحة التاريخ تؤكد بطلانها *

فلنعتبرنّ الان اخيراً التهمة الثالثة وهي انه حالما انتهت الجلسة الاخيرة اضمحل الاتحاد المنعقد *

فعن ذلك نجيب قائلين ان اثنين من خلفاء البطريرك يوسف الذي توفي في اثناء المجمع لبثا جهاراً وعلناً بالشركة مع رومية . وان عدداً عظيماً من اوليك الذين وضعوا امضاواتهم من اساقفة ورؤساء اديرة ورهبنات لبثوا في الاتحاد . وان الملك لم يقطع اتصالاته مع البابا اقله لحد سنة ١٤٥١ وذلك قبل استيلاء الاتراك على القسطنطينية بثلاث سنوات لا غير *

ولقد تعترضني قائلاً : كيف امكن مثل هذا التقلّب والتغيير

في عدد هكذا عظيم من الاساقفة واولوا التقدم في الكنيسة : *

ان هذا كان بسبب دسائس مرقس الافسوسي الذي انذلّ في فلورنسا فاثر هذا الذل به تاثيراً عجيباً ولذا تبريراً اسوء تصرفه اخترع افتراءً وثلباً نتعجب مندهلين كيف ان غبطة البطريرك القسطنطيني صادق عليهما في ايامنا هذه . وعلى كتاب مرقس الافسوسي الذي توهّم بعض الاساقفة بانهم يجدون فيه تبريرا عن رجوعهم الى الانشقاق زِد ايضاً دسائس اخرى نسجها سكان الاديرة . ثم جهل عامة الشعب الذي تحرّك هايجاً ضد ما كانوا يدعونه خاصاً بالكنيسة اللاتينية . وعناد بعض الراهبات اللواتي انجذبن الى اهواء اهل الاغراض . ثم والظلم الذي جرى ضد بعض الاساقفة من الشراكسة الغزاة الذين اذ كانوا استولوا على جانب من المملكة ارتأوا بانه مما يوافقهم وقوع الانقسام بين المشرق والمغرب *

لعمري ان هذا التقلّب الغريب والانفصال السريع مما يذهل عقول كثيرين بل انه من الالغاز التي يعسر حلّها . لكن هذا المشكل انما حله عليكم لا علينا ولا اظن بانه يوافقكم امعان النظر به على ما ينبغي *

فمن ثم فلنفتتح مما تقدّم قائلين . أهل هو من المحقق بان جميع المباحثات التي جرت في مجمع فلورنسا كانت جهارية ام لا . وهل انه أُعطيت لكلٍ الحرية التامة بان يوضح افكاره ويقدم براهينه على المسائل الواقعة تحت الجدال ام لا . وهل ان معتمدي الكنيسة الشرقية الذين كان انتخابهم شرعيًا

قانونياً قد امضوا جميعهم خلا مرقس الافسوسي وختموا على صورة الايمان المؤلفة من جمعية مختلطة فيها عشرة من الروم وعشرة من اللاتينيين ام لا . وهل ان الملك يوحنا باليولوغوس كان حاضراً مع حشمه والملوك المسيحيين كانوا ايضاً مستحضرين بالمجمع . وبعد هذا كله تحاولون القاء التوهم بالاذهان باننا قد ابدينا الاغتصاب واستخدمنا الجوع حصولاً على الاتحاد *

فاني اقول لغبطة البطريرك القسطنطيني انك لو راجعت اعمال المجمع لما اخطىء قلمك بتسطير كلام عارٍ عن الفطنة حتى لا اقول مغائر للادب . فقلت ان اناساً جهلاء يمكنهم وحدهم ان لا يعرفوا ما قد قيل او كتب ضد مجمع فلورنسا . لعمرك انه لا يكفي بان الانسان يعرف ما قد قيل او كتب ضد احد الامور بل ما قد قيل وكتب بشان ذلك الامر *

لعمري اذا ما قلنا بانه لا يليق ان نستوثق بما كتبه مرقس الافسوسي وغيره وذلك تبريرًا لانفسهم من الجحد . أهل بقولنا هذا نتجاوز حدود الفطنة . فاني اقول لك راجع مشاهير مؤرخي ذلك العصر لا من اللاتينيين فقط بل ومن الروم انفسهم نظير دوكاس وفرانزيس ولاثيوس وغريغوريوس بروستوزينسلوس ويوسف اسقف ميتون وجرجس سكولاريوس الذي أُقيم بعده بطريركاً وتسمّى باسم جناديوس وبيساريون الشهير . فهذا العلّامة كان احد المعتمدين الثمانية الذين انتخبتهم الروم ليدافعوا عن رأيهم في هذا المجمع . فقد دافع غاية المدافعة وعلى ما امكنه من الهمّة والغيرة والشطارة والحذاقة . لكن الحق قدير

فشأنه ان يستولي حالاً على من كان ذا عقل ثاقب مستقيم ولهذا لم يستطع بيساريون ان يقاومه . ولما اعترض وكلاء الروم على الاضافة ومن الابن . جاوبت وكلاء اللاتينيين بكل قوة وايضاح بشهادات الاباء القديسين الكثيرة العدد واثبتوا بان الروح القدس منبثق من الاب والابن . حتى انه اذ لم يبقَ محل للاعتراض طلب الملك ملخص الخطاب والادلة لكي تفحصه الروم على انفراد . فانشغلوا مدة شهرين بهذا الفحص وقابلوا الشهادات وراجعوا الكتب اليونانية واللاتينية . فازداد الحق اتضاحاً بهذا الفحص . ومن بعد ذلك التعب الشديد والعنا الاكيد بادر بيساريون ونادى علناً في جمعية وكلاء الروم بحضرة الملك نفسه قايلاً : انه يجب تقدمة الشكر لله تعالى وينبغي الاعتراف الصادق بان تعليم اللاتينيين انما هو تعليم اغلب اباء الكنيسة الشرقية الاقدمين . وانه عار ان يعترض على مثل هذه الشهادات الساطعة سوى ما ادعاه مرقس الافسوسي وهو ان كتب الاباء القديسين قد حرّفها اللاتينيون . كانهم لم يروا بان تلك النسخ كانت قديمة العهد جداً ومأخوذة من بلاد اليونان نفسه ومنقولة منذ اجيال كثيرة من اليونان انفسهم . وانه اذا ما انضمّت تلك الشهادات الى شهادات اللاتينيين فمن الممتنع ان لا يكون ذلك التعليم تعليم الكنيسة القديمة . ومن ثم لا يمكن لاحد ان يمتنع من الاتحاد بالكنيسة اللاتينية ما لم يتسم بالانشقاق والارطقة امام الله والناس *

وهاك الآن ما يمكننا استنتاجه من هذه الحوادث المتقدم ذكرها . ان كل انسان مسيحي اذا ما استند على صحة المبادي الدينية يجب عليه ان يسلّم بان الكنيسة اذا ما اجتمعت في مجمع عام قد صار الاستدعاء اليه والترأس عليه من الرأس الشرعي ومقرّ ومعترف به من الجميع على هذه الصورة . فانه اذا ما تصرّف على هذه الصيغة لا يمكن ان يخطيء في الاحكام المختصة بالمعتقد . فلو اتفق الخلاف لكان انتهى امر الايمان ولم نستطع ان نتأكد الحقيقة . وكان امر الكنيسة انتهى لانه لما بقي وسيلة لان نعرفها . ولقد كان انتهى امر سلطانها لانه يمكن دائماً الافتراض بانها تغلط . ولقد كان انتهى امر الديانة المسيحية التي لا قيام لها بدون قاعدة معصومة عن الخطاء في الايمان وبدون سلطة سامية يجب الخضوع لها . واذ كان ذلك كذلك هاك الآن البرهان . ان اساقفة الشرق والغرب باجتماعهم في مجمع ليون ومجمع فلورنسا قد اتفقوا على المسائل الواقع الاختلاف عليها وامضوا قانونا واحداً واعترفوا اعترافاً صريحاً بايمان واحد بموجب صورة رسمية . ويؤكد التاريخ لنا ذلك ولا يمكن ان يشوب هذا الامر ريب صوابي . ومن ثم اما انهم قد غلطوا او لا . فان قلت انهم غلطوا . فانك تلاشي وتغرّق في قعر اللجة الايمان والكنيسة والديانة المسيحية معًا كيفما تاملت الامر وتصوّرته . وان سلّمت حبًا بالحق الواضح للعيان بانهم لم يستطيعوا الخطاء بل انهم كانوا وكلاء امينين ليسوع المسيح وللحق فانك تشجب اوليك الذين فسخوا

للاتحاد المثبوت بقسم احتفالي رسمي وانك تلعن للانشقاق بما انه ضلال وتمرّد *

وانه من الممتنع ان تخرج من هذَين الحدَين. فاذاً عليك بفحص هذا البرهان فتامله وزنهُ بميزان الحق والاستقامة . فهذا هو عظم قوته حتى انه لا بد من ان تشجب يسوع المسيح او تشجب للانشقاق . واما ان تعدل عن ان تكون مسيحياً او ان تسلّم بانك مخطئ باعتناقك للانشقاق. لعمري انه لشيء يهزاء به ويضحك منه للادّعا بان كل الكنيسة كانت محصورة بمرقس للافسوسي الذي أبى وضع امضاه في المجمع . لا بدع ان هذا للادّعا لا يقبله عقل عاقل . كلّا ثم كلّا . لا تستطيع الكنيسة القسطنطينية ان تبرر ذاتها وتنظفها من عار للانقسام *

فلربما انك تنكر على هذَين المجمعَين سمة المجامع المسكونية . فوالحالة هذه ان حسن لديك أبِن لنا العلامات التي يُعرف بها المجمع بانه مسكوني. امّا انا فيلوح لي بانه اما انك تلتزم بان تعرف هذَين المجمعَين بانهما عاميين مسكونيين او انه يجب ان تنكر هذه الصفة على كل المجامع التي صارت منذ انشاء الكنيسة . فان سلّمنا بملاشاة الحكم التعليمي المبرز في مثل هذه الظروف من الكنائس المجتمعة من الشرق والغرب قل لي نشدتك الله فما هي للاحكام التي توقّرها للارطقة . أفما انك تسلّم بذلك سلاحاً بجميع للاراطقة ماضياً وحالاً ومستقبلاً *

وقبل ان ننهي هذه الرسالة ارجوك ان تؤذن لي بهذه الملاحظة . انه منذ تتميم الانشقاق رأينا الاساقفة الشرقيين المرسولين من قبل كنائسهم والموكلين باستحضارها قد امضوا مع اللاتينيين صورة ايمان واحدة وقبلوا قبولاً صريحاً رسمياً معتقدات الايمان التي كانت موضوع الاختلاف بين الكنيستين . وعلى مرتين رأينا عدداً كبيراً من هولاء الاساقفة لدى رجوعهم الى اوطانهم قد فسخوا الاتحاد ورجعوا الى ارائهم الاولية . أهل انهم اخطأوا وضلّوا منخدعين لما امضوا قانون ايمان الكنيسة اللاتينية ام هل انهم لمعرفتهم الحق قد كفروا طوعاً واختياراً بالغايات البشرية والخير الذاتي . فلك الاختيار التام بان تختار احد هذين الحدّين . لكنه على الحالين ان ذا عار على كنيستكم وتبرير للكنيسة اللاتينية . فالوقوف عند هذا الحد كافٍ الآن . وارجوك ان لا تنسبني للمبالغة في ما قد نتجته . واقبل ايها الحبيب مواجب احترام محبك الصادق

* الرسالة الخامسة عشرة *

ايها الحبيب *

انه كلّما تقدمنا بهذا البحث المهمّ نرى انوار الحق تتلألئ باسنى بهاء وما هذه الّا سمة الحق . فانه بيان دائماً لامعاً ساطعاً وجميلاً بهيئاً لاذهان من احبّه وطلبه بحرارة مقدسة . واني لواثق بانك تشعر بهذه العذوبة لدى كل

خطوة خطوناها بالبحث عن هذا المشروع . ولدى كل خطوة تتبدد اوهام الظلام ويكتسب الحق درجةً جديدة من البيان والايضاح *

واني اقدم لك الآن اعتباراً جديداً سهلاً بسيطاً لكن بساطته شأنها ان تزيله قوةً وقيمةً . فلا غرو انه لم يبرح من ذهنك ما قد وضعناه مبدأً لابحاثنا في ابتداء تاليفنا هذا . وهو ان السيد المسيح لاسمه السجود قد بنى كنيسة واحدة . اي نعم واحدةً بالايمان . واحدةً بالرجا . واحدةً بالمحبة التي تتحد جميع الاعضاء في بعضها فيتألف منها جسد واحد . واحدةً بالتدبير والادارة فانها رعية واحدة وراع ٍ واحد . فهي مملكة واحدة وعائلة واحدة ومدينة واحدة وجسد واحد وحظيرة واحدة . لكنه لا اقتضا لان نبحث ثانيةً عن هذه الحقيقة الاساسية المسلَّم بها منا ولا اختلاف بيننا عليها *

وانه لم يبرح ايضاً من ذهنك الرايق ما قد اثبتناه على احسن بيان واجلى تبيان بموجب اقوال الكتاب المقدس وتعليم مجامع وآباء الثمانية الاجيال الاولى . وهو ان الجميع قد اقروا معترفين حتى الى حين الانشقاق بان الكنيسة الرومانية هي الكنيسة الرئيسة وانها ام الكنائس ومولاتها . وان خليفة بطرس اعني به الحبر الروماني هو اسقف الاساقفة والاسقف العام ومعلم جميع المسيحيين وله السلطة على الخراف والاغنام وله رياسة التولّي غير المحدودة وغير المقيّدة ولا منازع له بذلك . وهذا امر حقيقي اكيد حتى انه في السنين الاخيرة السابقة

الانشقاق رأينا بطاركة القسطنطينية الذين كانوا ادّعوا الحق برسامة باقي البطاركة كانوا يلتجئون الى رومية ملتمسين تثبيتهم من لدن الحبر الروماني ٠ وقد اعترفوا ايضاً بانه لا قوة لامرء حتى وفي المجمع نفسه بدون سلطة البابا ٠ فهذا ما كتبه البطريرك اناتوليوس الى القديس لاون بابا رومية (راجع مكاتيب اعمال القديس لاون التي جمعها المعلم باليريني مجلد ٤ وجه ١٢٦٣) *

فلنزد الآن على ذلك حقيقةً ثالثةً ليست باقل ثبوتًا وتوطيدًا وهو ان الكنيسة مؤبدة ولا اضمحلال لها ٠ بل انها تثبت الى الانقضا وابواب الجحيم لا تقوى عليها *

فاذاً الكنيسة هي واحدة وهي مؤبدة والى حين ذلك الانشقاق كان رأسها جالساً على كرسي رومية ٠ فاين هي الآن هذه الكنيسة الواحدة والمؤبدة القرار ٠ اين هو رأسها واين هي كرسي سلطتها ٠ فهذا ما يقتضي الآن البحث عنه ٠ فاين هي الآن كنيسة يسوع المسيح التي استحضرتها رومية حتى الى زمان فوتيوس وميخائيل شيرولاريوس ٠ فلا شك انك تدرك اهمّية هذه المسئلة ٠ لكن فلنبحث عنها بكل بساطة وبحسن استقامة لا يشوبها ادنى اعوجاج *

فوالحالة هذه فلنرجع بالفكر الى ذلك العصر الذي فيه صرّح فوتيوس بالمقاطعة التامة مع رومية وذلك في سنة ٨٧٩ او الى ذلك المجمع الذي جمعه ميخائيل شيرولاريوس في سنة ١٠٥٤ وحرم فيه البابا وقصّاده وامضى عليه اربعة عشر اسقفاً من روساء

اساقفة الروم . فهذا العمل يقتضي اعتباره كعلامة واضحة اكيدة لتتميم الانشقاق . ومن ثم حينئذٍ افتكرت الكنيسة الشرقية بان كنيسة رومية برحت من ان تكون الكنيسة الاولى والرئيسية وبرح رأسها من ان يكون خليفة بطرس ونائب يسوع المسيح . وافتكرت ايضاً بانه حينئذٍ استخلفت الكنيسة القسطنطينية امتيازات كنيسة رومية واستولت على سلطتها التي تمتعت بها الى ذلك الحين . وحازت تمام التولّي الذي قد كان اختص بالحبر الروماني مدة احدى عشر جيلاً متوالية . وحازت ايضاً حينئذٍ سلطة بان تترتب من ذلك الحين وصاعداً امر ايمان المسكونة باسرها واتخذت ايضاً سلطان العصمة من الخطاء في امر التعليم *

لا غرو ان هذا لحادث عجيب لم يُسمع به قط ولم يُرَ له مثلٌ في التاريخ . فانه لحادث غريب فريد في تواريخ العالم . فبالأمس رائنا كنيسة رومية بقوة سلطان حبرها الاعظم القديس لاون تجري على العالم الكاثوليكي سلطاناً لا منازع له . واليوم هلع الكنيسة لانفصالها عن الكنيسة الحقيقية (هذا ما يفترضه الخصم) عرت عن كل سلطة وتولّي . بالأمس كان الحق لكنيسة رومية بان تحسم وتنهي بامر الايمان وتشجب الارطقة والانشقاق واليوم ليس فقط قد سُلبت منها عصمتها بل انها أُقيمت عليها الدعوى ووقعت تحت المحاكمة كمذنبة اثيمة ومن ثمّ قد جرى الحكم عليها وشُجبت منحطةً عن كرامتها . بالأمس كان لكنيسة رومية وحدها الحق بان تثبّت وتصادق على قوانين

المجامع العمومية ذاتها تلك التي لا قوة لها ولا قيمة الاَّ بحسب ما ينالها من هذه المصادقة واليوم اضحت موضوعاً لسهام الحرم وشُجبت حتى وبدون ان تُسمع دعواها . لا بل قد وقع التصريح بانها مشاقة . بالامس كانت مركز الكثلكة واليوم لا تُعدّ جزءًا من هذه الكثلكة . بالأمس كانت تبان في رأْسها صحة الادلّة بانها رسولية . واليوم لا يُعدّ رأسها الاَّ عاصياً متمرداً ولم يعد سلطانه الاَّ مختلساً . بالأمس كانت اماً حقيقية للقديسين ولابناء الله واليوم لا تُعدّ الاَّ خالةً اثيمة . بالأمس كانت عروس المخلّص طاهرة نقية لا عيب فيها . واليوم تُعدّ زانية . بالأمس كان لها سلطان لان تثبّت وتنير الكنائس واليوم تُعدّ غير مستحقة الشفقة بل انها خاصة ابليس . بالأمس كانت الرأس واليوم لا تُعدّ الاَّ عضواً مقطوعاً لا يشترك بالجسد . بالأمس كانت الاساس المبني عليه البناء واليوم لا تُعدّ حتى ولا حجر من هذا البناء ولا مدخل لها به *

أما يحق لنا يا صاح ان نقول بان هذا حادث غريب عجيب لم يذكر له التاريخ من مثال . لكن ليس هذا الاَّ جزءًا من هذا الحادث المستغرب . لان ما قد خسرته الكنيسة الرومانية قد ربحته الكنيسة القسطنطينية وهذه الغرابة الثانية ليست باقل من الاولى . لانه حيث لا توجد الاَّ كنيسة واحدة حقيقية وان هذه الكنيسة مؤبدة القرار لا فناء لها . فان كنا لا نجدها في رومية ينبغي كما يدّعي البطريرك القسطنطيني ان نطلبها في القسطنطينية . وبما ان بطريرك رومية الجديدة خلف الحبر الروماني بامتيازاته

وفيما انه اضحى خليفة بطرس الصفا فينبغي ان يتقلّد سلطانه الاعلى والمطلق على الكنيسة كلها ويكون له تمام التولّي . فبالمعونة الالهية الموعود بها لبطرس اضحى معصوماً من الخطاء باحكام المعتقد . ومن ثمّ عاد منوط به من ذلك الحين وصاعداً ان يثبّت ساير الاساقفة بالايمان . وبه تختص رعاية الخراف والرعاة . وبه اختص سلطان الربط والحلّ . وها انه اضحى فجأةً خليفة رئيس الرسل ومركز الكثلكة ومعلم العلماء وراعي الرعاة انفسهم . بالأمس كان ميخائيل شيرولاريوس بطريرك القسطنطينية يلتزم بالطاعة للحبر الروماني . واليوم يلتزم الحبر الروماني بالطاعة لهُ . ويلتزم الجميع بالخضوع لامره فهو الذي يحق له ان يدبّر سفينة بطرس ويضبط دفتها . فقد اضحى الفرع الشجرة وبانقلاب غريب اضحى عضو الجسد رأساً لذلك الجسد . فأخذ يعلّم التلميذ مكان معلّمه وجلس التابع على عرش الملك بعد ان طرده منه *

فكل هذا قد جرى بلحظة واحدة وبقوة حكم امضته بعض الاساقفة . هذا وليست المسئلة على سلطان زمني وعلى سلطة بشرية وعن تخت ملك ارضي بل عن سلطان سماوي والهي . وعن سلطة اختص اعطاؤها بالله وحده . ليت شعري أهل انه سهل انتقال شمس الدين المسيحي . أهل انه أمر سهل ابدال اقطاب العالم الادبي . ألا تظن بانه يقتضي لذلك ادلّة حقيقية واضحة لكي يسلّم الانسان بتغيير هكذا غريب عجيب . لعمري لمّا اراد المخلص ان يبني

كنيسته وشاء ان يقلد بطرس نفس سلطانه فهو هو لاسمه السجود الذي يأمر على الكون ويدبره وهو الذي الموت نفسه خضع له . قد فاه بتلك الكلمات القديرة الفعالة وقال : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لا تقوى عليها . فلك اعطي مفاتيح ملكوت السماوات . ومهما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماء . ومهما حللته على الارض يكون محلولاً في السماء . ارعَ خرافي ارعَ نعاجي . يا بطرس . قد صلّيت من اجلك لئلا ينقص ايمانك . ثبّت اخوتك :

اما التغيير الذي نحن في صدده فهو اعجوبة مضاعفة على انه يتطلب هدماً وايجاداً في آن واحد . قل لي نشدتك الله ما هي الضمانة التي يقدمونها لنا . أهل صادق المخلّص الالهي بفمه الطاهر على هذا التغيير الجزيل الاهمية . أهل ان المعجزات قد أيدت وبرّرت احكام ميخائيل شيرولاريوس . أهل نجد اقله في فضله وفضيلته وفي قداسة حياته ما يوهم صلاح اعماله . معاذ الله ان اتفوه بشيء ضد هذا البطريرك . فعلى التاريخ ان ينبئنا عن سيرته وتصرفه . اما بحثنا فلا يتّجه نحو الشخص بل يتّجه نحو الشيء . ومع ذلك ينبغي ان نقرّ معترفين ايها الحبيب بانه لو شاءت العناية الالهية ان تبدي انعكاساً هكذا غريباً في نظام الكنيسة . لكان استخدم تعالى واسطة اليق لاجراء مقاصده الالهية *

وهذا لا بد منه على انه ينبغي ان تكون كنيسة المسيح جوهرياً منظورة لكونه تعالى يريد خلاص البشر بالكنيسة وفي الكنيسة .

وبموجب هذه الارادة العلية والمقاصد الربانية ينبغي ان تظهر الكنيسة لدى اعين الناس كالمدينة المبنية على جبل لتسهل معرفتها على الجميع . فان كان المخلص الالهي قد اراد تبديل الكرسي الرئيسي الذي هو كالرأس للكنيسة وكالجزء الاشرف والمنظور اكثر من غيره وشاء نقله من رومية الى القسطنطينية فلا يمكن ان يصير هذا التغيير سرًا وخفيةً بل ينبغي ان تطلع عليه وتعرفه المسيحيون ويتضح امره للعيان . ومن ثم لكان اقتضى ان يعطي المخلص صيانةً لخاصّته من الضلال ظروفاً هذا حكمها حتى يستطيع كل القول انه ينبغي من الآن وصاعداً ان نلتجي لا الى رومية بل الى القسطنطينية . هناك هي ام الكنائس . هناك خليفة بطرس . هناك نائب المسيح على الارض . هناك يسوع المسيح نفسه *

لعمري انه لا يليق بنا ان نبرهن عن السدة الرسولية الرئيسية التي هي مركز الوحدة ولها ملؤ السلطة ورأسها هو نائب المسيح نظير ما نتعلل مبرهنين عن احدى الكنائس الاعتيادية . على انه اذا ما اذن تعالى بخراب كنيسة خصوصية كما قد توعّد تعالى اسقف كنيسة افسس قائلاً * اني ازعزع منارتك من مكانها (رويا ٢) * فهذا امر معلوم لا يعسر ادراكه . اي نعم انه بلية عظمى لكنه ليس بغير قابل الاصطلاح . لكنه ان كان ذلك عن تلك الكنيسة التي تتعلق بها سائر الكنائس وتلتجي اليها جميعها وكلها ترتاح عليها كارتياحها على الصخرة الاساسية فلا شك بان تزعزعها يضرّ بجميع

الكنائس الاخر ويتعلق خرابهم على خرابها . وينبغي بان جميع المؤمنين يعلمون بمثل هذا التقليد . لان تحويل المركز شانه ان يلقي الحركة في اربع اقطار المسكونة ويجعل اتصاليات جديدة *

فان كان ذلك كذلك . قل لي يا صاح من هو الذي قد علم بهذا التغيير ومن قد شعر به . ومن هو الذي اعلنه لاعضاء الكنيسة ومن هو الذي نادى به واثبته رسميًا . لعمري ما من احد يستطيع ان يفعل ذلك الاَّ يسوع المسيح وحده . ليت شعري ترى هل ان المسيح فعل ذلك . اما انا فاني متاكد بانك غير متيقن بذلك لا بل وانك اخذت ترتاب بهذه الاعجوبة الغريبة التي كان يقتضي اجراؤها في الوقت الذي فيه انفصلت الكنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الرومانية بسعي بطريركها ورأسها . ففي ذلك الوقت نفسه برحت الكنيسة الرومانية ان تكون ام الكنائس كافةً لا بل اضحت ايضاً مشاقة . فلا بد من ان يزداد عندك الشك والريب اذا ما تقدمنا مبينين ما يقتضي تبيانه ايضاً . لكنني لا ابتغي العجلة في مثل هذه المسئلة المهمّة التي تتطلب بحثاً رايقاً . فاقبل ايها الحبيب خلوص مودة محبك الصادق *

* الرسالة السادسة عشرة *

ايها الحبيب *

لا غرو انك قد تأكدت محالية انتقال كرسي رومية الى القسطنطينية . ذلك الكرسي الذي اعتبره الجميع دائماً وابداً مركزاً

للوحدة ونفس سلطان الكنيسة الاعلى . وقد تحققت ايضاً عدم امكانية قيام بطريرك رومية الجديدة عوضاً عن البابا خليفة بطرس الصفا . لعمري ان من امعن النظر بذلك لا بد من ان يتزعزع ايمانه ولو مهما كان متمسكاً بتعليم فوثيوس . اما نحن فاننا لا نقف عند هذا البرهان . بل اننا نتقدم الى ما قدام ولنفرض بان هذا التغيير صار حقيقةً وان هذا التبديل تمّ قانونياً فاقلّه من عادة المسبب الدلالة على السبب . فان كان الحادث عسر المفهومية بذاته فان نتائجه تضحي لدينا سهلة ومن شان الاثمار ان تدلّنا على الشجرة . لا غرو انك ادركت مقصدي هذا . قل لي نشدتك الله ايما الكنيستان أكنيسة رومية ام كنيسة القسطنطينية ظهرت منذ ميخائيل شيرولاريوس اي منذ ثمانية اجيال . انها ام المسيحيين الحقيقية وعروس يسوع المسيح الخالية من كل عيب . انبئني ان كانت المنارة المقدسة التي منذ احدى عشر جيلاً كانت تنير كل العالم المسيحي هل انها من رومية قد انتقلت الى القسطنطينية . وهل انها كانت تشرق متلالئةً بين ايدي ميخائيل شيرولاريوس وخلفائه . فمن الواضح ان نورها يأتي من لدنه لكل العالم المسيحي . على انه اذا ما كانت رومية مشاقة فتكون افلت عنها الشمس الالهية . واذ كانت غائصةً في بحر الضلال فقد انتقلت من الحيوة الى الموت *

فما الذي جرى من ذلك واولاً ما الذي خسرته الكنيسة الرومانية منذ الانشقاق . لعمري انهم قد اقتلعوا منها عضواً

على جانب الاعتبار ، قد فقدت اولاداً كثيرين لا تزال نائحةً عليهم ، لكن ليت شعري هل ان حياتها الالهية تغيّرت وهل ان وجودها تبدّل جوهرياً ، أفهل انها خسرت بعض صفاتها الجوهرية تلك التي تميّزها وتبيّن بانها هي من الله ، فهذا ما ينبغي ان نبحث عنه الآن *

انه لم يبرح من ذهنك بانه لحد زمان ميخائيل شيرولاريوس كانت جميع المسيحيين تحيي تلك المدينة بالسلام بما انها مركز الكثلكة وبما ان رأسها بتسلسل على خط الاستواء وبدون انقطاع من بطرس هامة الرسل الذي سلطانه هو من المسيح نفسه . فهذا قد اثبتناه وسلّمنا به . لكن ترى ماذا اضحت حالتها منذ سنة ١٠٥٤ . لعمري انها منذ ثمانية اجيال احاقت بها الحروب والمقاومات وكثيراً ما امّل اعداؤها بانه قد انتهى امرها ، فقد اضحت هدفاً لسهام الارطقات العظيمة والعلوم المتعجرفة والفلسفة الكاذبة وموضوع اضطهاد سياسةٍ خوّانةٍ حسودة ، وقد وثبت ضدها هجومات الشهوات والاميال المطلوقة العنان ، فالابروتستانية وارطقة جانسينيوس والكفر والنفاق هجموا ضدها وقلبوا نظام كل ممالك المغرب ، فترى هل ان الكنيسة اللاتينية التي رومية رئستها قد وقفت عن سيرها وتشوشت خلافة احبارها ، لا لعمري لم يأثر بها ذلك اصالةً ، ففي الوقت الذي فيه ميخائيل شيرولاريوس نادى بالاستقلالية ورفع رايات الانشقاق كان جالساً على الكرسي البطرسي البابا لاون العاشر الذي قد أُحصي فيما بعد في مصاف القديسين ، وكان هو التاسع

والاربعون من بعد المائة من خلفاء بطرس الصفا . فخلفه فيكتوريوس الثاني وخلف اسطفانوس فيكتوريوس ثم نيقولاوس الثاني ومن ذلك الحين الى ايامنا هذه لم تنقطع سلسلة الاحبار الرومانيين. فمنذ بطرس الصفا الى بيوس التاسع المالك الآن سعيداً لم تفرط حلقة واحدة من هذه السلسلة الرسولية . فهذه الخلافة الثابتة الفريدة في التاريخ التي انما كرسي رومية وحده امتاز بها ويحق له وحده ان يفتخر بها على كل مملكة ارضية والتي هي سمة خصوصية وامتياز خاص بالكنيسة الرومانية . أما انها تثبيت رسمي لكرسي بطرس . أما انها ختم على حال كونها رسولية *

أهل ان هذه الكنيسة فقدت وحدتها. لا لعمري بل اني اراها منذ سنة ١٠٥٤ نظير ما كانت عليه قبل ذلك العهد. فهي دايماً وابداً امينة صادقة بحفظ وديعة الايمان المقدس طاهرة نقيةً وتوزّع لاولادها بصوت معلميها وبلسان كهنتها تعليماً نقياً لا عيب فيه ولا يشوبه ملام . فمتى ظهر شك او نفحت ريح الضلال ترفع هذه الكنيسة صوتها وتحكم فيخضع الجميع لصوتها. وها انه منذ سنوات قلائل قد صدر الحكم الرسمي بالحبل بالبتول الطاهرة بلا عيب ولا دنس . نشدتك الله قل لي ايها الحبيب ما الذي جرى وقتيئذٍ. فقد اظهرت الاساقفة افكارها وتكلم الاب الاقدس فاحنى الجميع الرؤس لصوته باحترام في وحدة الايمان المقدس. ومنذ ثمانية اجيال الى الآن ترى كم وكم من الانام الوقحاء حاولوا تغيير تعليم هذه الكنيسة. فبايوس وجانسانيوس

ولوثير وكلفينوس مع ذلك المجموع الوخيم مجموع اولئك الذين ادّعوا الاصلاح في الجيل السادس عشر فجميعهم قد حُكم عليهم وشُجبوا وطُردوا خارج الكنيسة . حتى وانه في ايامنا هذه لم يخشَ البابا بيوس التاسع بان يحرم اضاليل العقل البشري الملقنة من روح الكبريا والفساد . العقل الذي يضمحل بافكاره . وقد اعلن هذا الاب الاقدس دالاً بالبهتان على تلك اللجة المنقادة اليها الالفة البشرية من مذهب يستند على العقل وحده . مذهب يليق بالاحرى ان يُلقب بالجنون لا بالصواب . فقد ادّعى بانه لا حاجة الى الله تعالى وانه ممكن للجنس البشري ان يغتني عن ربه وخالقه *

أتريد ان نبيّن لك احسن بيان ايضاً قوة الرباطات التي تربط الكنيسة اللاتينية بالوحدة . فهاك مثالاً فريداً في التاريخ لم يُرَ له شبه في الاعصار السابقة . فكأنه قد أُبقي الى عصرنا هذا عصر الاستقلالية وعدم الخضوع والامتثال تعليم الفرق الموجود بين الاحكام البشرية والكنائسية والسلطة الالهية المسلمة لخليفة بطرس ونائب يسوع المسيح *

فانه من بعد الثورة الفرنساوية والاتفاق الذي صار في سنة ١٨٠١ بين الحكم الزمني والروحي اقتضى تقليل عدد الابرشيات فطلب بيوس السابع بابا رومية وقتئذٍ من جميع اساقفة فرنسا وبلجيكا وسافويا بان يعدلوا عن كراسيهم وابقى لنفسه السلطان ليقيم على كراسي الابرشيات الفارغة اساقفة ارادهم . قل لي نشدتك الله كم يقتضي من الثقة بقوة

السلطان وكم من الخضوع والطاعة في الاساقفة اشعاراً لهذه الطريقة الكلية . لكنها مهما بانت لك غريبة فانها ذات حكمة عظيمة . على ان الظروف حكمت بضرورتها ومن ثم بيوس السابع لحسن معرفته ذلك قال فاجابوه . سمعاً وطاعة . ثم انه في سنة ١٨١٧ طلب من بعض الاساقفة امراً اخر يشبه ما تقدم وهو ان يقسم كل من ابرشياتهم الى ابرشيتين . قال . فلبّوه بالطاعة والقبول . اي نعم يا صاح انها لكلية المقدرة ولعظيمة القوة الحيوية الموجودة في مثل هذه الادارة وانها ضامنة امينة للوحدة *

أهل ان الكنيسة الكاثوليكية فقدت كثلكتها . لا لعمري . فانها لم تنسَ ما قاله لها السيد المسيح : امضوا وعلّموا جميع الامم جميعها علّمتكم اياه : فانها لم تكتف بان تغذي ابناءها بخبز الحق وتنيرهم بانوار شموسه المبدّدة غمام الضلال . ولما كانت متقدة بنار الغيرة الالهية التي جاء الكلمة الازلية ليضرمها على الارض تاقت لان تقود الناس جميعًا الى السماء بمعرفة الله ومحبته . فانها ترسل الى اقاصي المسكونة اساقفة ورسلاً ورهباناً ومرسلين ليبشروا بالخلاص . قل لي نشدتك الله . هل من شعب وثني ولم توجّه نحوه الكنيسة الرومانية كمال الاعتنا في بحر هذه الاجيال الثمانية الاخيرة . وهل من بلدان بربرية ولم ترسل اليها مرسليها . فكم وكم من الممالك والامصار قد اكتسبتهم للمسيح . فاذا ما كانت بكت نائحةً على ابناء قد نكروا الجميل والاحسان وتركوها

كافرين بحنوّها الوالدي أما انه قد استقبلتها بالترحاب عوالم جديدة واتخذتها لها اماً . أما ان علامة الكثلكة ودلايلها ازدادت فيها بياناً *

أهل انها فقدت سمة قداستها . لا لعمري . فاني اراها حارسة ساهرة لا تغفل عن حراسة طهارة الآداب . ومستيقظة للقوت المقدّم لابنائها فتهديهم الى الينابيع المقدسة حيث يجدون الحيوة وتوقيهم من تلك الينابيع التي يجري منها سم الموت . فانها قد اقامت لذلك ديواناً خاصاً رسمياً شأنه ان يحرم التعاليم المفسودة التي تقرن معًا الرذيلة والضلال لتفسد الانفس وتقودها الى الكفر والنفاق *

فاني اراها اشدّ عدواناً للرذيلة . على انها تحاربها في كل مكان واضعة حواجزاً منيعة ضد طوفان الشهوات . فعبثاً تتوهّم ملوك الارض الهرب من القصاص ويرومون الفرار من حكم الكنيسة الرومانية . وباطلاً يعلّلون انفسهم بالمحال مؤملين ابتياع مرضاة اميالهم او ان يلزموا بوعيدهم نائب يسوع المسيح بان يصادق على ارادتهم الملوكية . فان الكنيسة الرومانية تجاوب دائماً وابداً على هذه التطلبات غير العادلة بجواب واحد لا يتغير قائلةً : ان هذا لا يجوز : وهب على ان هولاء الملوك هم هنريكوس وفيليبوس وفريديريكوس . وهب انهم مالكون زمام اليمانيا وفرنسا وانكلترة فانها لا تلتفت الى ذلك ولا تعباه به . فانهم لا يحصلون على مصادقتها ولو سكوتاً . فان ابوا الامتثال فلا بدّ من ان ينسحق كلّ منهم في دوره ضد هذه الصخرة غير

المتزعزعة التي اقامها المسيح اساً لكنيسته *

فاني اراها مؤتمنة امينة للاسرار الالهية ومقامة لتمارس تلك الذبيحة العظيمة التي افتدت العالم وتبذل جهدها لكي تتوزع هذه الاسرار على ابنائها بحكمة وثمرة فيستقون منها الحيوة والنعمة *

واني ارى فيها علو الهمة يتلألأ لامعاً في جميع الفضائل. لكن بديها الطاهرتين تربيان باعتناء وحنو خصوصيين غرسة تبان ناشئة من السماء ومنقولة من مقرّ الملائكة السعيد الى تلك الارض المدنسة بالخطية حيثما تأصلت بقوة النعمة رغماً عن فساد طبيعتنا البشرية *

واني لا اعدد ههنا كل الاعمال الخيرية التي قد كثرت وازدادت في حضن الكنيسة الرومانية منذ الجيل الحادي عشر، بل اتجاسر منتدبًا ايًا كان بان يريني ضربًا من المشقة والشقا ولم تداوِه بما اقامته لذلك من الاماكن الخيرية والمستشفيات وبيوت اليتامى وبيوت الحفظ وبيوت الوقاية وبيوت الملجاء المفتوحة للفقراء والمعوزين وللمرضى والمسقومين وللشيوخ والمقعدين *

ولا اقتضاء لان نذكر كثرة الرهبنات والاخويات الكثيرة التي تزداد عدداً يومياً. تلك التي انما هي مركز الانوار والتعليم فانها جمعيات منتخبة من الجمعية الكاثوليكية العظيمة الشأن التي اعضاوها يشتركون مع بعضهم بافكار شريفة سامية تايقين الى ممارسة اعلى درجات الكمال. ليت شعري أما

نرى ههنا خصباً عظيماً في الكنيسة الرومانية منذ ثمانية اجيال الى الآن . وترى من يستطيع حقيقة اعتبار قيمة اعمال الرهبنات في تقديس ابناء الكنيسة وانتشار الايمان *

· اهل يقتضي ان احدثك عن القديسين الذين لسمو اعمالهم استحقوا الاكرام في الهياكل وذلك بعد الانشقاق وقد تقدسوا في حضن الكنيسة الرومانية في مدة الاجيال الاخيرة . ليت شعري من اين لي بان اعدد لك كثرة هولاء القديسين العظماء وذلك رغماً عن شدة الصرامة والتدقيق في تثبيتهم . فاينك من اولئك المجلين العظام نظير القديس برنردوس ومنصور وكارلوس بوروماوس وفرنسيس سالس وفرنسيس كسافاريوس والقديسة تريزيا وغيرها . ليت شعري أهل ان ارضاً مثل هذه خصبة بالاثمار الفريدة السنية يمكن ان تكون ارضاً ملعونة . وهل ان البركات السماوية كانت قسمة كنيستكم خاصةً فيما انها عقيمة في كل نوع من هذه الاثمار وعن هذا يأتي الكلام *

أهل يقتضي ان احدثك عن جحافل الرسل والمرسلين الذين ترسلهم يومياً الكنيسة الرومانية الى اقاصي العالم مكررةً عليهم كلام المعلم الالهي قائلةً : امضوا وعلموا جميع الامم : *

أيقتضي اخيراً ان اكلمك عن الشهداء الذين سفكوا دماهم حباً بالايمان . فكثيرٌ هو عدد هولاء الشهداء ابناء الكنيسة الكاثوليكية حتى انه في هذه الاوقات الحاضرة ايضاً تقدم للسماء عدداً عديداً شهادةً لحبها وايمانها . على ان كوريا والصين

وتونكين واليابون هي شهادة صادقة تؤيد كلامي . ففي اليابون قد تجددت في الجيل السابع عشر اقسى وافحش الاضطهادات التي قد كانت جرت في اوائل الكنيسة . وكان احتمال اولئك الشهداء فريسة اهل الضلال عجيباً غريباً تنحط الاقلام عن بيانه *

واذ كان ذلك كذلك والعجز واضح فعاد الاصوب ان نكتفي بما تقدّم . لكن قل لي يا صاح ما الذي خسرته الكنيسة الرومانية من حين الانشقاق . وما الذي فقدته من جمالها وبهائها وقوتها وخصبها وقداستها . أهل يبان لك بان اصل هذه الشجرة يبس وتلاشى وان ينبوع حياتها نشف وانتزح وان نورها انطفى ونيران محبتها خمدت . أما هي الآن على ما كانت عليه اولاً وكما كانت اولاً كمالاً وتماماً . وبهذا الآن كفاية . فثق ايها الحبيب بخلوص اعتبار محبك الصادق *

* الرسالة السابعة عشرة *

ايها الحبيب *

انه لدى تأملنا الحال التي قد بيّناها عن الكنيسة الكاثوليكية على ما هي عليه في ايامنا هذه . لا شك انك قد تيقنت بان هذه الكنيسة كانت بعد الانفصال كما كانت قبله اي انها كنيسة يسوع المسيح الحقيقية *

لعمري وما الحاجة الى البرهان وها اننا نراها الآن ممثلة امام اعيننا بكمال نظامها القدير الالهي مفعمةً حيوةً وقوةً وجمالاً . اما

ان المجمع العام الحالي هو خلاصة مجموع الكنيسة وبيانها الحسّي وتشخيصها الحقيقي واستحضارها الحيّ . أما هو اظهار بسيط طبيعي قاطع جازم بانها الهية . وهات الآن نبيّن لك ما هو المجمع موضحين حقيقته وغايته ونتائجه على اوجز بيان *

فالمجمع هو عبارة عن جمعية اساقفة . اما جمعية كهنة ابرشية تحت رياسة اسقفهم الشرعي فتُدعى سينودوس لا مجمعاً . ومن المجامع ما تدعى اقليمية وهي التي تجتمع فيها اساقفة الاقليم بأمر رئيس اساقفتهم ولا نفوذ لها الّا في اقليمها . ومنها ما تُدعى طائفية وهي التي تجتمع فيها اساقفة طائفة بامر امامهم ولا نفوذ لاعمالها الا في طائفتها . ومنها مجامع عامة وتدعي ايضاً تيبلية او مسكونية تستدعي اليها جميع الاساقفة الكاثوليكيين بامر البابا او برضاه وفيها يقع البحث والتداول عما يلاحظ خير جميع الكثلكة الروحي *

فواضح هو علو اهمية هذه الجمعيات المختلفة المستحقة كمال الاعتبار سواء كان نظراً لسمو اعتبار الاعضاء التي تتألف منها . او بالنظر الى سمو غايتها الحميدة الخلاصية التي هي روحية محضًا . او بالنظر الى الوسائط الفائقة الطبيعة التي تستخدمها للتوصّل الى هذه الغاية الشريفة *

اما السينودوس والمجامع الاقليمية ثم والطائفية فمهما كانت مفيدةً نافعة وذات اهميّة واعتبار . فمع هذا لا مناسبة بينها وبين اهميّة واعتبار المجمع العام الذي انما رأس جميع المؤمنين بملو

سلطانه الاعلى يستدعي اليه اساقفة الكنيسة او اقله يصادق على هذا الاستدعا . ومن ثم تُدعى اليه جميع الاساقفة الكاثوليكيين على انهم حقيقةً هم متفوضون امر تدبير الكنيسة ومنعم عليهم باجراء ذالك . فانهم قضاة في امور الايمان . واذا ما وجد في تلك المجامع لاهوتيون فما ذاك الَّا للبحث عن المسائل لا لانهم قضاة عليها . واذا ما حضر اليه روساء الرهبنات فما ذاك الا لكونهم مستحضرين جمهور رهبناتهم . بل وقد يكونون ايضاً بصفة لاهوتيين فيساعدون على حلّ تلك المسائل *

ومن المناسبة ان ننبه ههنا اولاً بان كثرة عدد الاساقفة لا تجعل المجمع عاماً . فقد يتفق في المجامع الطائفية وجود اساقفة اكثر عدداً مما في المجامع العامة . لكن ما يعطي المجمع العام سمة مسكوني انما هو الاستدعا اليه بامر من له الامر واذاعته لدى جميع الشعب الكاثوليكي وقبول جميع الاساقفة الذين لهم الحق بالجلوس فيه ووجود عدد ما من اساقفة حضروا من اماكن مختلفة كاثوليكية . فقد انبأتنا العادة بانه في تلك المجامع التي التئمت في الشرق كان نواب البابا كافيين لاستحضار الغرب وفي المجامع التي تلتئم في الغرب يستحضر الشرق بعض اساقفة حضروا اليها نيابةً عن الاخرين . فقبل الانشقاق كانت البطاركة الاربعة مستحضرين اعتيادياً من وكلائهم *

ثانياً . ان المجامع المسكونية ليست ضرورية في الكنيسة من قبيل الضرورة المطلقة . على ان المجمع النيقاوي الذي هو المجمع

الاول المسكوني لم يلتئم الّا في سنة ٣١٢ . وها انها قد مضت الآن ثلثماية سنة منذ انعقاد المجمع التريدنتيني الذي هو المجمع الاخير المسكوني . ومع هذا فلا تزال الكنيسة على ما هي عليه دائماً من القوة الحيوية والتدبير . وذلك لانه كما بيّنا انفاً قد قلّد المخلص الالهي رأس كنيسته المقدسة سلطاناً كافياً لادارتها وتدبيرها . ولان التئام مجمع مسكوني لا يتأتّى دائماً بسبب ظروف مختلفة تمنع غالباً انعقاده . فهذه الملاحظة وحدها تثبت وجود السلطان المطلق والعام في رأس الكنيسة *

لكنه وان كانت المجامع الخصوصية او العامة ليست ذات ضرورة قصوى في الكنيسة . مع ذلك فانها في ظروف كثيرة ذات فائدة عظمى ومنفعة جزيلة . ومن ثم العادة الثابتة التي بموجبها يتصرف الحبر الاعظم . على مثال الرسل الكرام الذين اجتمعوا في اورشليم ليرتبوا سويةً بعض مسائل. نراها واسطة فعّالة لاحتياجات الكنيسة الاكثر اهمية *

ثالثاً . اذا ما تكلّم البابا من السدّة الرسولية اي انه اذا ما علّم كل الكنيسة وحكم بحقيقة من الايمان فانه لا شك معصوم من الغلط وذلك بقوة معونة الروح القدس الذي يدبره وينيره حسب وعد المخلّص الالهي . ومع ذلك لا يخطرنّ لذهن انسان بان الاب الاقدس في ظروف هكذا ذات اهمّية لا يستشير ولا يستعمل جميع الطرق والوسائط المرسومة من الفطنة البشرية.

فمفعول معونة الروح القدس الذي يؤكد له العصمة من الغلط هو ان يحمله اولاً وبدءًا على ان يتسلح بجميع الانوار الممكن وجودها في الكنيسة *

ولسائلٍ ان يسأل : لماذا هذا المجمع الآن : فاني اجيبه اولاً. كن مطمئن البال فان نائب السيد المسيح لم يسعَ هذا السعي الجزيل الاهمّية ما لم يكن امعن النظر به غاية الامعان وما لم يتوسل لله تعالى بحرارة التضرع والطلب ويستشر من كان اهلاً للمشورة. لكنه مهما كان السبب الذي حمل الاب الاقدس على عمل هذا المجمع. أما انه من الواضح البيّن بان اجتماع الاساقفة الكاثوليكيين انما هو مساعدة عظيمة وقوة بليغة لكي يعرفوا معرفةً حقيقيةً احتياجات الكنيسة والادواء الممكن استعمالها لادائها *

أما انه امر جزيل الفائدة ان تلتئم جميع الاساقفة وتتباحث وتتفق على طريقة يحاربون بها محاربةً فعّالة اضاليل العصر ويستدركون ضلال عقولٍ جمّة قد ابتعدت وتاهت عن طريق الايمان وذهبت متدهورة في لجة الكفر والهلاك *

أما انه من باب الضرورة القصيا ان يوضعوا حاجزًا منيعًا لطوفان التعاليم المفسدة وان يخلّصوا ان امكن الآداب العمومية من الغرق العام الذي بابتلاعه الديانة المنزلة والايمان يحاول ابتلاع الآداب الطبيعية نفسها حتى وسمات العدل والفضيلة *

أما يليق باعتنا واهتمام الكنيسة المقدسة ان توطّد بحسن سهرها وتيقظها وبحسن حكمة تنظيماتها وتأكد لخدمتها سمو القداسة التي تتطلبها دعوتهم. وتؤكد للرهبنات ذلك الكمال

الذي هو غاية دعوتهم *

أما انه من اعظم الرغبة والمبتغى ان تقود الى وحدة الايمان اخوتنا الذين ابعدهم عنها الارطقة والانشقاق وان تبحث عن الطرق الملائمة لانتشار ملكوت الله بين الكفرة وغير المؤمنين *

أما ان حرية الكنيسة وحفظ شرائعها وتهذيبها في بلدانٍ احكامها عرت عن الدين او انها مضادة له . أما ان هذه اهل لان تلتفت اليها اباء المجمع ويتبصّرون باحوالها *

اما انه من باب الضرورة القصيا لاسيما حيث اتضح روح اغلب الاحكام الحالية ان ترتب الاساقفة بحكمة وفطنة اتصاليات الكنيسة ومعاطاتها مع الحكومة . وذلك منعاً للقلاقل والخصومات وحفظاً الحقوق الالهية بدون ان ينكر على قيصر ما هو لقيصر *

فقد اعنينا عن هذه الاسباب المختلفة لكوننا متأكدين بان اكثر هذه المسائل انما هو موضوع اتعابٍ سبقت المجمع الفاتيكاني المقبل تأهباً واستعداداً وقد تولّج فحصها جمعيات خصوصية *

لماذا هذا المجمع العام . ليت شعري هل ان هذه الجمعيات الاحتفالية المؤلفة من انام ذوي عقول ثاقبة . أما انها جزيلة الفائدة للبحث عن مسائل تهمّ الجنس البشري اشد اهتماماً . أما انه في مجمع عام تفاض انوار روح القدس وانعامه ويمنح يسوع المسيح معونته الخصوصية حسب قوله الالهي الذي اخصه المجمع الخلقيدوني للمجامع وهو : ان كلما اجتمع اثنان باسمي فاكون الثالث بينهم : أما ان الاحكام التي يبرزونها تبان لدينا

جزيلة الاهمية والاعتبار . أما ان الطرق المستعملة والمتفق عليها في هذه الجمعيات هي سهلة وامينة *

لماذا المجمع العام . أما ان المجمع هو الطريقة الاسهل والاقرب لعقد رباطات شأنها ان تتحد القلوب والافهام وتمكّن قيود الاتحاد بين اعضاء العائلة المسيحية . أما انهم بدنوّهم الى مركز منارة واحدة يلتقون بوحدة الافكار والعواطف والاراء . اما انه من باب الموافقة والمناسبة بان الذين يقتضي ان يدبروا الشعوب المسيحيين في طريق الغبطة والخلاص ينبغي ان تنهض غيرتهم وتتحرك همتهم من الراعي الاول حتى تكون الهمة متساوية والادارة ايمن واوفق ومبنية على اصول الحكمة والفطنة *

لماذا هذا المجمع . أما انك ترى اجمل وابهى واسمى واعلى بيان الحيوة الكاثوليكية . ما الذي يقصد عمله هولاء الاساقفة والرعاة ومستحضروا الابرشيات . ان كلاً منهم يأتي مقدماً لدى اقدام الراعي الاعلى ونائب الرب يسوع على الارض مواجب احترام وحب قطيعه المؤتمن عليه . ثم ويقبل لهذا القطيع بركة اب عموم المؤمنين وشهادة حبه نحوهم . وبما ان كلاً منهم في المجمع ولدى الاب الاقدس هو لسان حال وترجمان الشعب فهو ايضاً لسان حال المجمع والاب الاقدس وترجمانهما لدى شعبه . ويكون احسن صدى يبلغ صوت بطرس الى اقاصي المسكونة فيتم ما قد قيل* انه شاع صوتهم الى جميع الارض والى اقاصي الارض اقاويلهم (رومية ص١٠ ع- ١٨)*

فالمجمع العام يقدّم لنا صورة شركة القديسين فهو مدّ وجزر عقول وقلوب الشعب الكاثوليكي . فهي حيوة تستقي من الينبوع لتتوزع على الجداول . فهو دم يتجدد متكيفًا في القلب لكي يعطي الحيوة الى كل جسد . فهو شركة القديسين المنظورة المحسوسة على احسن نوع وحال *

فقد بيّنا ما هو المجمع العام وما هي الاسباب الموجبة لانعقاده وهذا كافٍ لمعرفة اهميّة عمل الاب الاقدس بيوس التاسع . واني لواثقٌ بانه لاهمّ واعظم واشهر حادثٍ جرى في عهد حبريته . وانه اغرب واعجب حوادث العصر الحاضر ولا غرو ان تواريخ عصرنا يتجه اكثرها نحوه *

أما انه حقًا امر مستغرب عجيب مشاهدة الكنيسة الكاثوليكية في الوقت الذي تسرّ فيه اعداؤها قائلين عنها بانها قد ماتت ودُفنت في القبور نراها خارجة من ذلك القبر المحفور لها من مخيلة اعداءها الحمقاء وتذهل العالم الذي يراها على اعظم درجة من الحيوة واجل وابهى واقدر مما كانت عليه *

لعمري ان عمل مجمع مسكوني في وسط الجيل التاسع عشر هو من ابهى المناظر واجلها . أهل رأيت قط الكنيسة متوطدة اشد توطيدًا ومظهرة ذاتها بجراءة وشجاعة لدى اعين الجميع ببهاء لا مثيل له ومنظر حقًا الهي *

فكأنها تلتفت الى الجميع قائلةً لهم : اميلوا الحاظكم اليّ . وتأملوني . أمَا انكم ترونني على ما اقامني عليه فادي البشر . أما ترون باني انا كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية : *

اي نعم انها واحدة رغماً عن روح الانقسام والاستقلالية الذي يقرض الجمعيات البشرية ويلاشيها . ومقدسة رغماً عن الفساد الذي يحاكي وباءً قتّالاً يفسد الافراد والعيل والممالك . وكاثوليكية جامعة رغماً عن الموانع الكثيرة التي تقاوم فعلها ورغماً عن تعصّب العصر والجحيم معاً فانهما يفرغان الجدّ والجهد لاشاتها لو امكنهما ذلك . اخيراً رسولية . فانها تمرّ في وسط الدهور والاجيال . فتنحط الممالك عن عظمتها وتؤول الى الخراب والدمار وخلافة روساء هذه الكنيسة المبجّلين منذ القديس بطرس لا بل ومنذ المسيح نفسه هي متصلة غير منفصلة *

اي نعم ان المجمع المسكوني يبيّن وحدة الكنيسة بياناً جلياً واضحاً لدى اعين الجميع . على ان فكرًا واحداً يحرّك ويدبّر جميع اعضاء هذه الجمعية الجليلة . فيتبع جميعهم قصداً واحداً وغايةً واحدةً . فايمانٌ واحد يتحدهم ومحبة واحدة تحييهم . ومن ثمّ جميع هولاء الاساقفة الشهيرين بعلومهم . الممتازين بسمو عقلهم وتعقّلهم . الجليلين باشغالهم ومسعاهم . باحتمالهم ومصايبهم . باعتنائهم واتعابهم في بيعة الله المقدسة . هولاء الاساقفة الذين كان يقتضي على ما يلوح للاذهان ان يكونوا مختلفين فيما بينهم لسبب اختلاف طوائفهم وجنسيتهم . واختلاف عوائدهم واخلاقهم تراهم متى حان الاوان ليس لهم الّا روح واحدة وقلب واحد ومشيئة واحدة *

اي نعم ان المجمع المسكوني يبيّن تبياناً جليًا ويظهر للعيان قداسة الكنيسة . على ان هولاء الاساقفة الفخام

لا يأتون من اربع اقطار العالم لكي ينشغلوا بامور هذا الزمان الفانية . ولم تحملهم على ذلك الاطماع بارباح دنية او منافع شخصية . لان هذا المجمع لا غاية له سوى خير الانفس الروحي ومجد الله الاعظم وانتصار العدل والبرّ على الارض . وتأييد الحق والقداسة . وتوطيد مُلك المسيح ملك السلام على ابناء البشر الذين افتداهم بثمن دمه الكريم . فغايته هي اصلاح البشر . وقصده ان يؤكد لهم السعادة الحقيقية التي انما هي ثمرة الفضيلة . فهناك انشغال رعاة بيعة الله الوحيد فانه لامر مهمّ عظيم . لعمري وهل توجد غاية اسمى وانشغال اقدس واهمّ واصوب واعلى واشرف من هذا *

ان المجمع المسكوني هو بيان جلي حسّي عن كاثوليكية الكنيسة . اي عن كونها جامعة . لعمري أما ان هذا الاجتماع العام هو حقاً مختصر وخلاصة الكنيسة الكاثوليكية المستحضرة برعاتها الكرام الذين قد اتوا من كل صقع وقطر وجميعهم يؤمنون بايمان واحد بشّرت به سلفاؤهم واكثرهم ختموه بسفك دمائهم . أما ان المجمع المسكوني هو دليل حيّ واضح على كاثوليكية الكنيسة لفظاً ومعنىً يبيّن حسن نظامها وقوتها الحيوية في كل اقطار المسكونة . اما انه دليل واضح عن حق كاثوليكيتها . الحق الذي بموجبه تمارس فعلها المقدس المعطي الحيوة للعالم *

اخيراً ان المجمع المسكوني يبيّن علناً رسولية الكنيسة وسلطان رأسها الالهي الذي هو خليفة بطرس الصفا على كرسي رومية .

ونائب المسيح الذي استدعى المجمع ويترأس عليه ويعطي لتحديداته واحكامه قوة وسلطة . فبطرس يحيا ويفعل ويتكلم بخليفته . فاذاً المجمع هو في الوقت ذاته اسمى تصرّف بالسلطان الرسولي . وهو ايضاح جليّ عن كاثوليكية الكنيسة . وهو دليل واضح عن قداستها . وهو استحضار حسيّ لوحدتها *

نرى وما الذي ينبغي ان اقوله ايضاً . أما ان المجمع العام المنعقد في مثل هذه الظروف ينادي علناً باستقلالية الكنيسة الجليلة وبحريتها الالهية . فعبثاً تتوعد امواج الشهوات البشرية العجّاجة هذه البيعة ابنة السماء . وباطلاً تهبّ ضدها ارياح العواصف السياسية . اي نعم اننا نرى الامواج تنهض هذه السفينة وتحطها لكنها مدبّرة من يد حكيمة قديرة فتسير نحو المينا وتتقدم بكل امان وطمأنينة في وسط الصخور دائسةً الاخطار بارجلها . أما ان المجمع العام هو صوت الكنيسة الاعظم التي تتمم في هذه الارض وظيفتها وتعلّم جميع الامم وتنادي من اعلى السدّة الرسولية بكلمة الخلاص التي القاها على الارض ذلك الاله المتأنس مخلّص العالم وباريه . اي نعم انها تنادي بهذه الكلمة من اعلى السدّة الرسولية فتسمع جميع اقاصي الارض . أما ان المجمع هو الكنيسة المجتمعة كالجحافل في وقت الوغى . واذ كانت محصّنة بوحدتها واضحت عديمة الانقلاب فانها تهجم واثبةً ضد جميع الاضاليل وتحارب جميع الرذائل . أما انها تظهر بهذا

انها هي الكنيسة المحاربة . اخيراً ان المجمع العام هو الكنيسة التي تظهر ذاتها امام اعين الجميع بكمال نظامها العجيب . ففي هذا الحين تظهر اكثر من كل حين بانها منظورة ومحفوفة ببهاء مجد لامثال لهُ . اي نعم هي المدينة المبنية على الجبل . هي نور العالم . هي الشمس المنيرة العالم باشعة انوارها *

فيا ابناء الكنيسة الكاثوليكية . تأملوا امّكم وسرّوا فرحين لكونكم اولادها . لكن كونوا اولاداً كفؤا بها . تأملوها ايضاً يا معاشر الذين هم خارجاً عن حضنها . على ان هذا الحادث المقدّم لاعينكم هو وحده شهادةٌ انجيلية . فانه ينادي مبشراً بحقيقة الديانة المسيحية ويؤكد بان الكنيسة الكاثوليكية هي حقاً الهية . أما ان هذه الجمعية التي هي حقاً واحدة وعامّة معاً تبيّن بفصيح كلامها للجميع بدون استثناء بانه لا يوجد الّا اله واحد . ورب واحد . وايمان واحد . ومعمودية واحدة . ووسيط وحيد . وانه لا ينبغي ان تكون الّا جسداً واحداً تحت سلطة رأس واحد . وانه يقتضي ان تتحرك وتحيا بروح واحد *

فهذا هو المجمع العام . فالتئامه في رومية ممّا يعطينا معنىً اخر جديداً . وكأنه عتيد ان يعطي ثمرةً خصوصية . على ان رومية حقاً هي رأس الكثلكة . هي لبّها . هي اساسها . هي مركزها . هناك لدى اب عام جميع المؤمنين في تلك المدينة المملوءة اثاراً دينية ولدى ذخائر وضريح الرسل المقدسة تجتمع

اساقفة العالم الكاثوليكي ويمكّنون ان امكن تلك الرباطات التي تربطهم بالبابا وبيسوع المسيح . هناك يأخذون شجاعة جديدة ويرجعون الى اوطانهم مملوئين ثقةً وقوةً . حتى انه اذا ما اعدّ الجحيم لبيعة الله المقدسة اوقاتاً ضيّقة شديدة وازمنة صعبة قاسية يوجد حينئذٍ في عروقهم دم شهم لا يتوق الّا لان يُهرق . بل ويكون كل واحد منهم بطلاً شجاعاً مستعدّاً بسفك دمائه ان يكثّر عدد الشهداء المبجّلين *

واذ كان قصدي ان ابيّن لك بهذه الرسالة ما هو المجمع المسكوني فلم استصوب الخروج عن الموضوع . لكننا في الرسالة الآتية نرجع الى ما كنا في صدده تابعين سياق موضوع تأليفنا هذا . وارجوك قبول مواجب احترام   محبك الصادق *

* الرسالة الثامنة عشرة *

ايها الاخ الحبيب *

بعد ان امعنا النظر بالكنيسة الرومانية على ما يبيّنها لنا التاريخ في ذاتها واعمالها منذ ثمانية اجيال الى الآن . وذلك لتطّلع على التغيير العجيب الذي يقتضي وجوده فيها ان كانت اضحت مشاقة . فبقي علينا الآن ان نوجّه الحاظنا نحو كنيسة القسطنطينية ممعنين النظر بها . فانه بحسب مباديها قد ورثت في ذلك الحين الامتيازات المختصة بكنيسة المسيح *

فوالحالة هذه . قل لي نشدتك الله ما الذي ربحته كنيسة

القسطنطينية في وقت الانفصال . وماذا كانت منذ ذلك الحين بل وما هي الآن هيئتها الحقيقية *

فاولاً هل يمكنها القول بانها رسولية وهل يستطيع بطريركها ان يثبّت تثبيتاً قاطعاً مانعاً بانه هو خليفة بطرس الصفا . وانه قد تقلّد سلطة هامة الرسل ونائب يسوع المسيح . فانه لا يكفيه ان يكون سيم كاهناً وارتسم اسقفاً رسامة صحيحة . بل يجب عليه ان يبيّن من اين اخذ السلطان المطلق الذي يدّعيه لنفسه على سائر البطاركة والاساقفة . من هو الذي قلّده هذا السلطان . من هو الذي اعطاه السلطان ليرعى الرعاة والاغنام ويدبّر الكنيسة كلها . فاننا نطلب على سؤالنا هذا جواباً واضحاً بيناً وسديداً قاطعاً *

فلنضربنّ الآن صفحاً من تلك الازمنة الاولى التي صار فيها هذا التغيير . ليت شعري هل انه امر مؤكد بان البطاركة الذين يخلفون بعضهم على الكرسي القسطنطيني يُقامون اليه قانونياً وبطرق حقًا شرعية . لا شك انك اعلم مني بذلك . لكنه يقال بانه في انتخاب هولاء البطاركة كثيراً ما تقوم الدراهم مقام الفصل والاستحقاق . وان الدنانير ترجح دائماً في ذلك الميزان الذي يُوزن فيه طلب من ابتغى البطريركية . قل لي . يا صاح هل هو حقيقي ما قد سمعناه وهو ان من كان قد أُقيم الى وظيفة ابتاعها باغلى الاثمان يُعزل منها حالاً طمعاً بالدراهم لكي تُباع الى اخر . حتى انه يوجد الآن اربعة بطاركة في الحيوة بعد ان خلف بعضهم الاخر على الكرسي القسطنطيني . فان كان

ذلك كذلك لا غرو ان الاكليروس القسطنطيني يبعد كثيراً من روح الكنيسة . ويحق لنا العجب من دخول السيمونيا في لبّ الكنيسة ومن تدنيسها ذلك الانتخاب الكنائسي الذي يتطلب اهتماماً كلياً بحريته واستقلاليته وحكمته . فان كانت هذه هي حالة البطريركية فما هي حال الوظايف الاخرى . لا شك ان هذا المثل المذموم لا يخلو من انام يتبعون اثاره . ومن ثم نرى السيمونيا عند ابواب اهل الوظايف الكنايسية وفي كل درجات الطغمة الاكليريكية جالسة على عرشها . فهذه رذيلة مجرّد اسمها يفطّنا بذلّها ويدل على قبح اصلها وينبوعها . اي نعم الدراهم الدراهم هي المفتاح الذي تفتح به هذه الابواب . لكن المشتري يضطر ايضاً للبيع . ومن ثم عادت الاشياء المقدسة معرّضة للاثمان وانحطت فصارت بحالة الامور الدنيوية واضحت موضوع التجارة والارباح . فمن المحقق يا صاح ان هذه الشكوى تثلم شرف اكليروسكم ويعسر علينا جداً ان نرى فيهم خلفاء الرسل الكرام وخدمة حقيقيين للكنيسة الحقيقية . لكن سر بنا الآن الى ما قدام *

ثانياً هل ان الكنيسة القسطنطينية تستطيع ان تدّعي الوحدة في الايمان . الوحدة في الاداب . الوحدة في العبادة . الوحدة في الادارة . لعمري ان التكلم عن الوحدة مع من عرف المشرق واختبره انما هو هزؤ وسخرية . اما انك ترى الانقسام والتشعّب في كل الجهات . اما انك ترى انقسام بل انحلال تلك العناصر التي كان لا قيام لها الّا لتدافع بعضها وتحارب بعضها وتبغض بعضها

ويلاشي احدها الآخر ملاشاةً متبادلة . فواقعة الحال الظاهرة للعيان انما هي شهادة واضحة جليّة لهذا المقال . قل لي نشدتك الله ما هي التأثيرات التي تأثر اولاً واخراً في ذهن من ساح جائلاً هذه الاقطار التعيسة . ما هو يقين واقتناع ذلك الذي يعيش في هذه البلدان الجليلة الآثار العذبة المناخ الكلية العظمة والاعتبار نظراً لماضيها والتعسية الشقية نظراً لحالها الحاضرة . معاذ الله . فاني لا اخشى القول بان هيئتها وسمتها الممتازة وخاصيتها الشقية هو الانقسام هو التشعُّب هي الخصومة والعدوان . فانك ترى الانقسام في كل مكان ولا ترى الاتحاد في مكان . انك ترى اختلافات لا تحصى في معتقداتها . اختلافات كثيرة في ارائها وطقوسها وتسيباً تاماً في ادارتها الكنايسية . ترى القلاقل مستولية في كل مكان ولا تجد فيها اصلاً اتحاداً واتفاقاً وامتثالاً وخضوعاً *

فلربما تعترضني قائلاً : ان هذه الصفة تُطابق على الشرق اذا ما اخذناه على عمومه . لكنه لا يُطابق على الكنيسة الشرقية التي تحفظ عموماً وحدة ما في الايمان . فلا بأس بهذا لكن قُل لي يا صاح على ايما شيء تتوقف بقايا هذه الوحدة المادية الخارجة . ومن اين تتأتى . فقد قال احد خطباء هذا العصر ولا شك انه اصاب بما قال . وهو ان عدم الحيوة جعل الكنيسة الشرقية عديمة الاستطاعة على تغيير حالها واوقفها على حالتها الراكدة الميتة . فاذا ما وجدت فيها وحدة الايمان . فما ذاك الّا من حالة الجمود . قال العلّامة شليجير : ان الكنيسة الشرقية هي

جمعية دينية لا حيوة لها فقد بطلت حركة قلبها ولا تقدم لمن نظر اليها الّا قرار القبر ولا تحفظ ثبات تعليمها الّا بدفنها اياه في بحر الجهل . والكنيسة المسكوبية التي انما تدعى الابنة البكر للكنيسة القسطنطينية تشترك معها في حال الخمول . لكن شعوبها الكثيرة العدد قد مزّقتها شيع عديدة عدوة لبعضها وانقسمت الى احزاب كثيرة دينية تضحى عاجلاً او آجلاً احزاباً سياسية . ومن ثمّ فانها حاملة ضمنها جرثومة الموت وسوف تجد في حال هذه العداوة المشومة خطراً عظيماً وعلة اكيدة لانحلالها وخرابها . ان اسقفاً ما من روستوف احصى شيع بلاده في اوائل الجيل الثامن عشر فوجدها مايتين شيعة مختلفة (راجع الاونيفير في ٨ كانون الثاني سنة ١٨٥٤) *

لكنه اذا ما بقيت لكم الوحدة المادية . أما انه من المحقق بانه لا تبقى لكم بل ومن الممتنع ان تبقى لكم وحدة الايمان في المبدا التي تصدر عنه والذي يحفظها . على انه بانفصالكم عن رومية وضعتم في كنيستكم علة الانشقاق المشومة وامضيتم صك موتها . فانك تسألني قائلاً وكيف كان هذا . اي نعم ان هذا قد صار لكونكم قلبتم وعكستم مبداء العصمة التعليمية الذي لا بد منه للكنيسة حفظاً لوحدة الايمان . وبالحقيقة ان تلك العصمة التي تنكرونها على البابا لا نراكم تسلمون بها لبطريرككم ولا لاحد اساقفتكم . فوالحالة هذه لا توجد عندكم طريقة امينة اكيدة لحسم الاختلافات ولبث احكام يسلم بها ولابراز قضاء ملزم .

فتقول ان عندكم السينودوس . لكن ترى من هو الذي يحكم وينهي اذا ما اختلفت اساقفتكم . تجيبني قائلاً انهم هم شهود لا قضاة . لكن ان كانوا شهوداً فهل هم معصومون من الغلط ام لا . فان كانوا معصومين من الغلط . فاذاً قد رجعنا الى العصمة التي تنكرونها . وان كانوا غير معصومين فقد بقي المشكل على ما كان عليه . ومن ثم لا يبقى لكم حينئذٍ طريقة اخرى سوى ديوان الباب العالي الذي يكون الديوان النهائي محاكياً بذلك ديوان مملكة انكلترة للمذهب الانكليزي وارادة ملك روسيا لمذهب شعوبه . وعلى هذه الصورة تنهدم وحدة الايمان من اساساتها ومن عين مبداها وذات اصلها *

أهل ان الكنيسة القسطنطينية توجد فيها الكثلكة . لعمري انه لا يكفيها لذلك اتخاذ لقب شرهت اليه وادّعى بطريركها بانه مسكوني اي عام . فانه لا يوجد تحت تولّيه سدس المسيحيين الذين يتبعون الطقوس الشرقية . فروسيا المؤلفة من خمسين مليوناً يتبعون الطقس الشرقي يدبرها سينودوس اساقفة لا تعلّق لهم بالبطريرك القسطنطيني . وملك روسيا ذاته ليس فقط لا يخضع لامر البطريرك القسطنطيني لا بل انه يحاول ان يخضعه يوماً الى امرة الملوكي . ان بلاد اليونان نفسه لا يخضع له . ورعايا الدولة النمساوية المتمسكون بالطقس الشرقي هم تحت ادارة بطريرك كارلويدس وهذا لا تعلّق له بالبطريرك القسطنطيني . وسكان جبل الاسود ليسوا تحت ادارته . وبولغاريا قد خلعت عنها نير طاعته . وزِد على كل هولاء مسيحيين

الشرق الذين يخضعون للبابا رأسهم الروحي *

ترى ما الذي تقوله عن تلك الكراسي الخاضعة للقسطنطينية، لعمري على ايما حالة مادية وادبية نرى كراسي بطريرك الاسكندري والانطاكي والاورشليمي ، وما الذي اصاب اسقفيات خلقيدونية وافسوس وديرك وهيراقليا ، وكبادوكية ونيقوميدية واندرينوبلي ، فاكثر هذه المدن اضحى قرى مهمولة وكأني ارى على اثار اطلالها الدارسة هذه الاية المستحقة الذكر المؤبد موسومة باحرف لا تمحى : اني ازعزع منارتك : ان من العلماء الصادقين العارين عن الاغراض قد عدّلوا الانفس تعديلاً صادقاً واعلنوا بان الذين هم تحت تولّي بطريرك القسطنطينية بلغوا من الاثني عشر الى الخمسة عشر مليوناً لا غير ، لعمري انك ترى حسناً ايها الحبيب بان هذا العدد القليل لا يطبق على شراهة مدّعى البطريرك القسطنطيني الملقب بالمسكوني . فان هذا ليس بنموّ بل بانحطاط وهبوط يزدادان على مرور الايام ، ومن ثمّ انني مهما انحرفت نحوكم متغرضاً يعسر عليّ جداً ان اعرف بان الكنيسة القسطنطينية هي الكنيسة الكاثوليكية *

فلربما تعترضني قائلاً : بان كثلكة الفعل ليست بضرورية لكنيسة يسوع المسيح بل الكثلكة الضرورية انما هي كثلكة الحق الناتجة عن الالزام المرسوم على كل من البشر بالدخول الى حضن هذه الكنيسة ومن الفرض المفروض على هذه الكنيسة بان تفرغ جدّها وجهدها باقادة جميع الناس الى معرفة الحق ،

لعمري ان هذا حق وصدق . لكنه بحصر المقال انما يزيد الامر صعوبة بل بالحري انه يرفع عن الكنيسة القسطنطينية الحق بان تقول عن ذاتها انها كاثوليكية . وبالحقيقة قل لي نشدتك الله . ما الذي فعلته هذه الكنيسة منذ انفصالها الى الآن لاجل ارتداد غير المؤمنين . كيف فهمت وكيف اجرت امر المسيح القائل : امضوا وعلّموا جميع الامم : أين هي الفتوحات الروحية المتطلبة من غيرتها . أين هم رسلها وأين هم مرسلوها . نشدتك الله ياصاح تأمل هذه الملاحظة وزنها بميزان العقل النطقي العاري عن الاغراض . ان كنيستكم عقيمة وليست الانفس لديها بشيء . فانها خالية لتلك الانفس المجذوبة منها الى الانشقاق واجنبية نظراً لباقي الانفس . فعواطف الحب والغيرة لا مدخل لها في قلبها . فلا تشعر بضرورة اعطاء الحيوة لغيرها لانه لا حيوة فيها . فلا توجد فيها لا كثلكة الفعل ولا كثلكة الشوق ولا كثلكة الغيرة والميل . بل وليس لها روح وقلب كاثوليكيين *

رابعاً . هل توجد فيها القداسة . لعمري هل ان اوقات انفصال الكنيسة القسطنطينية كانت اوقات هطل النعم الفيّاضة على هذه الكنيسة . لا شك انه لجميل وانه لبهي فخيم اكليل العلماء والقديسين الذي تلألأ لامعاً على جبين الكنيسة الشرقية في الستة الاجيال الاولى من انشاء الديانة المسيحية . فقد كانت وقتئذٍ هذه الكنيسة مهداً للنسك وللرهبنات . فكم قد اذهلت العالم بغرائب الاماتات واعاجيب الفضيلة .

فكم من الشهداء قدّمتهم للسماء . لعمري من يدرك عظم مقام وشرف فضيلة بوخوميوس وبولا وانطونيوس وايلاريون . وما الذي اقوله عن تلك الكواكب اللامعة اعني بهم اثاناسيوس ويوحنا فم الذهب وغريغوريوس وباسيليوس . ليت شعري كيف اتفق بان هذا الينبوع الفيّاض قد نشف وانتزح منذ لانشقاق وكيف اتفق بانه في الوقت الذي فيه كان يقتضي ان تجري الحيوة نقية قوية قديرة في كل اعضاء هذا الجسم كان حينئذٍ انقطاعها من ينبوعها فنشفت واضمحلّت *!

فلا يخطرنّ لاذهانك باني قصدت الطعن بحق انسان . فاني اكتفي بايقاظ معرفتك بالبلاد وباهله واوجل افكارك الى المسائل الاكثر اهمية . دعني اسألك ايها الحبيب هل ان اكليروسكم من ايما رتبة كان يبان لديك قدوةً ومثالاً . أيمكنك ان تنعته بكلام المسيح القائل : انتم نور العالم . انتم ملح الارض : ليت شعري ترى ما هي الوسايط المبذولة لتهذيبه وتعليمه وتدبيره وتقديسه . لعمري ان هذا هو اهتمام الكنيسة الحقيقية الاول كما انه كان اهتمام مخلصنا الالهي الاول . أَهل يليق ان اعد ثلباً وافتراءً ما يُتهم به اكليروسكم من الجهل والبخل والاطماع وعدم نظام السيرة . فما الذي يعمله هذا الاكليروس لاجل تقديس المؤمنين . أهل انه يبشر بكلام الله . أهل يعلّم الاولاد حقايق الديانة الجوهرية . أهل يعتني اعتناءً اكيداً بما يلاحظ توزيع الاسرار المقدسة بحكمة وقداسة . أهل يغار على الانفس ويعتني بان يغرس فيها

نقاوة التعليم وطهارة الآداب . فانك تجيبني قائلاً . انه لا يخلو الامر من وجود اناس غيورين . لكن ذلك من النادر بل انه يُعدّ من الامور الخارجة عن العادة . فان كان ذلك من الامور غير المألوفة فانما يأيد دعواي . ومن ثم يمكنني ان انتج قايلاً . انه لا حيوة لاكليروسكم . ومن ثم لا يستطيع ان يعطي الحيوة لغيره *

ترى اين توجد تلك الفضائل العجيبة والكثيرة الوجود سابقاً في هذه الامصار تلك التي مجرد الاخبار عنها يوعبنا تعجباً وانذهالاً بعد مرور هكذا اجيال عديدة . فمنذ عشرة اجيال الى الآن ترى اين هي المشروعات الخيرية . اين هي المستشفيات وبيوت المرضى والايتام وما شاكل ذلك . اين هي هذه الاعمال الخيرية التي اوجدتها واحيتها بروحها الرسولي الكنيسة القسطنطينية . اين هي الرهبنات التي وجدت في الشرق منذ فوثيوس الى الآن . اين هم الشهداء الذين يقدّمون انفسهم مشهداً عجيباً للمسكونة بأسرها . كيف هذا الحال . اننا في كل مكان وزمان لا نرى الاّ عقماً وموتاً . عقم في الصنائع فانه لا شيء منها في المشرق . عقم في العلوم . فاننا لا نرى تقدماً بل نرى التأخر والتقهقر الى الوراء . نشدتك الله قُل لي ما هي التآليف السامية الخارجة من يراع علمائكم . اين هي ملح التآليف التي وجدت منذ الف سنة الى الآن في بلادٍ انما هي مهدّ الامور العظام . اننا نرى عقماً في الرسالة والتبشير فلا وجود لهذا في

المشرق . فالموت من داخل والموت من خارج *

لا يصعبنّ عليك قولٌ قد يكون قاسياً ولم يحملني عليه الّا الحق وحده . انه في بلادكم الشرقية لا درس ولا عنا ولا همّة ولا نشاط ولا رغبة ولا غيرة بل ولا حيوة ايضاً . ترى ما الذي توجهت العناية به لاجل خير الجنس البشري ولاجل خير الدين المسيحي منذ عشرة اجيال الى الآن . ما الذي عمله سكان هذه الامصار لاذاعة الانوار وانتشار الايمان . أهل ان كنيستكم تعتني اعتناء حقيقياً بتقديس اعضائها . أهل انها تصدت لمحاربة الارطقات التي ظهرت منذ ذلك الحين . فان كانت لا تعمل ولا تفعل ولا تقاوم الشر ولا تفرغ جهدها لعمل الخير ، فاذاً لماذا تدّعي بانها كنيسة يسوع المسيح *

فاني لا اعدّ عليها ذنباً سقوطها تحت نير دولة غير مسيحية . لكن ليت شعري أهل كان يقتضي منها ان تضحّي وتلاشي استقلاليتها الروحية وتبيد حرية الانتخاب فيها وحرية ادارتها ومقامها وعظمتها . كلّا ثم كلّا . انها قد اخطأت بذلك وان هذا ذنب جسيم . امّا الكنيسة الكاثوليكية فتعرف كيف تخضع وتطيع فانها توقّر السلطة وتحترمها . لكن طاعتها هذه لا تمنع حفظ حقوقها المقدسة بدون انثلام . فانها تعرف ان تعطي لقيصر ما هو لقيصر . لكنها في الوقت ذاته تعطي لله ما هو لله . لعمري ان في هذا لعجب فنرى كنيستكم لا تعطي لله ما هو لله وتعطي لقيصر ما ليس هو لقيصر *

فاني اقف ههنا ايها الحبيب ، وها ان عملنا قارب النهاية ، فارجوك ان تتبعني في ما تبقى . ان بيوس التاسع اقتفاءً باثار سلفائه الكرام ورغبةً بما ابتغاه المخلص بان تكون الرعية كلها لراعٍ واحد قد استدعى مجمعاً عاماً ودعى اليه جميع روساء الملل المتسمة بسمة العماد المقدس وكانوا من ثم مسيحيين ، وفي رسالتنا الاتية اذكر لك هذه الدعوة الابوية ولك الحكم بما تشاء ، واقبل الآن خلوص عواطف مودة محبك الصادق *

* الرسالة التاسعة عشرة *

* رسالة الاب الاقدس بيوس التاسع الرسولية *

* من البابا بيوس التاسع الى جميع اساقفة الطقوس *
* الشرقية غير المشتركين مع الكرسي الرسولي *

اننا اذ كنا قد أُقمنا بسرّ تدبير العناية الالهية على هذه السدة الرسولية ولو بدون ادنى استحقاق ورثاءة هامة الرسل الكلي الطوبى الذي بموجب الامتياز المُعطى له من الله هو الصخرة الوطيدة الثابتة التي قد بنا المخلص بيعته عليها . فاننا نضطر من قبل عظم اهتمام الوظيفة المفروضة علينا ونتوق بحرارة الرغبة والاشتياق ونفرغ الجهد بان نشمل بمساعينا جميع الناس القاطنين على وجه الارض والمنطوين تحت اسم مسيحيين مستهمّين جميعهم لقبول معانقة المحبة الابوية . هذا واننا لا نستطيع بدون مخاطرة جسيمة على نفسنا ان نتغافل ولو عن ادنى جزء من الشعب المسيحي الذي قد افتداه المخلص بثمن دمه الكريم ودخل في قطيع الرب بقوة مياه المعمودية واستوجب من ثم تمام سهرنا وتيقظنا . ولذا بما اننا ملتزمون دائماً بان نبذل كامل مجهودنا ونوجّه جميع افكارنا نحو خلاص جميع الذين يعترفون بالمسيح ويسجدون لاسمه القدوس . نوجّه الآن الحاظنا وعواطف قلبنا الابوي نحو تلك الكنائس

التي اذ كانت حيناً متحدة بهذا الكرسي الرسولي اتحاداً وثيقاً برباط الاتحاد المتين كانت تتلألئ ساطعةً ببهاء القداسة والتعليم السماوي وتثمر اثماراً غزيرة لخلاص الانفس ومجد الله العلي . والتي بسبب حيل المحال ومكائد ذلك الذي كان اول من هيّج الانشقاق في السماء تلبث الآن مبتعدةً ومنفصلةً عن شركة الكنيسة الرومانية المقدسة الممتدة في كل المسكونة . الامر الذي اوعبنا حزناً وغماً *

ولهذا منذ بداية حبريتنا العظمى وجّهنا نحوكم بتمام الانعطاف الفؤادي خطاب المحبة والسلام . ولو ان خطابنا هذا لم يحصل وقتيئذٍ على الغاية المأثورة فمع ذلك لم نقطع قط امالنا بان تستجاب تضرعاتنا الذليلة الحارة من ابي الرحمة والرأفة صانع الخلاص والسلام . الذي قد صنع الخلاص في وسط الارض اذ انه قد انحدر من العلو ليظهر بهاء السلام المقبول لديه والمبتغي اعتناقه من جميع الناس فقد بشّر به منذ مولده الشريف بواسطة ملايكته الكرام البشر ذوى الارادة الصالحة . وعلّمه بالكلام وانذر به بالمثال مدة تردده بين البشر *

وبما اننا قد اعلنا حديثاً برأي ومشورة اخوتنا المحترمين كرديناليّة الكنيسة الرومانية المقدسة ونادينا بالتئام مجمع مسكوني ينعقد في رومية وذلك في السنة القادمة اي في اليوم الثامن من كانون الاول المكرّس للحبل بوالدة الله مريم البتول البري من كل دنس . اقتضى ان نصرخ ثانيةً نحوكم بكامل قوى نفسنا متوسلين اليكم ومحرّضين همتكم

ونستحلفينكم بالحضور الى هذا المجمع كما قد حضر سلفاؤكم الى مجمع ليون الثاني المنعقد بامر سالفنا الطوباوي غريغوريوس العاشر السعيد الذكر والى المجمع الفيورنتيني المنعقد بامر سالفنا اوجينيوس الرابع السعيد الذكر لكيما تتجدد سنن الود القديم ويحيا سلام ابائنا الذي هو موهبة خلاصية من لدن يسوع المسيح . بعد ان قد كان هذا المبتغي ضعف منحطاً بمرور الزمان . ومن ثم تشرق انوار الاتحاد وتتلالى ساطعةً لدى اعين الجميع من بعد استيلاء طول ليل الاحزان وادلهمام ظلام مديد الانقسام *

وحبذا لو كانت هذه ثمرة البركة المبهجة التي يعزّي بها في هذه الازمنة العسرة ربنا وفادينا يسوع المسيح الكنيسة الكاثوليكية عروسه المحبوبة النقية ويسكن عبراتها وبمسحها . حتى انه اذا ما زال كل انقسام تشرع تلك الاصوات غير المتفقة سابقًا ان تسبّح بكمال الاتحاد روح الله العلي . الذي لا يريد وجود الانشقاق فيما بيننا بل انه يأمرنا بفم رسوله المصطفى ان نكون جميعنا على قولٍ واحد ورأي واحد . ومن ثمّ يُسدى شكرٌ دائم لابي المراحم من جميع قديسيه لاسيما من اباء وعلماء الكنايس الشرقية الاقدمين الكرام لدى مشاهدتهم من الاخدار السماوية تجديد وانعقاد وثاق الاتحاد مع الكرسي الرسولي مركز الحق والوحدة . الاتحاد الذي قد سعوا به بحرارة الاهتمام وكمال الغيرة واحيوه بتعليمهم ومثالهم مدة حياتهم على الارض . لان الروح القدس قد كان

افاض في قلوبهم محبة ذلك الذي نقض الحائط الحاجز الفاصل وآلف وسالم الكل بدمه الكريم واراد بان يكون الاتحاد علامة تُعرف بها تلاميذه . ولذا توسّل الى ابيه السماوي قائلاً : اسأل ان يكون جميعهم واحدًا كما اننا نحن واحد : *

أُعطي في رومية حذاء كنيسة ماري بطرس في ٨ ايلول سنة ١٨٦٨ ومن حبرويتنا السنة الثالثة والعشرون *

ايها الحبيب

ها انك قد سمعت كلام الحبر الاعظم . نشدتك الله قل لي أَما ان هذا كلام اب . كلام غيرة ومحبة . اهل ان نائب السيد المسيح يستطيع ان يتفوّه بخلاف ذلك . لعمري أَما ان ما ابانه من عواطف الحنو واوضحه من الغيرة الابوية هو فوق عواطف حب فادي جنسنا البشري . لكن ترى ما الذي اجاب به غبطة بطريرك القسطنطينية على هذه الدعوة الخلوصة الفؤادية . انه اخذ اولاً يتعلل على بعض اصطلاحات تلك الكتابة ويتشكّى من بعض عبارات جرت عادة استعمالها في كتابات رومية فيما ان معنى الكتابة ومقصودها رفع كل ملام ضدها . اما غبطته فقد اعدّها ذنباً مخلاًّ باللياقة . ثانيًا حاول محاربة رياسة كنيسة رومية وقد تحدّثنا عن ذلك . فليس بالاعادة افادة . لكن لعمري كم قد انوح متاسفا حيث قصد غبطته عدم الحضور الى المجمع *

فاني رغماً عن عمق احترامي وكمال اعتبار الغبطة البطريركي القسطنطيني اهتف نحوه قائلاً . ايها الحبر النبيل انك متيقن بان كنيسة رومية تدّعي لنفسها سلطاناً لا يختص بها ومتيقّن ايضاً

بأن المجمع الفلورنتيني لم يكن مجمعًا شرعيًا اصوليًا ومن ثم لا قيمة ولا اعتبار لاحكامه القانونية. ومتيقن ايضًا بان الكنيسة اللاتينية في ضلال وانك وكنيستك وحدكما محقان . واننا لديك اغنام تعيسة شقية تتوه ضالّة خارج الحظيرة والمراعي الدسمة . وان رعاتنا هم امّا عميان او منخدعون يستاقوننا وراءهم الى اللجة الابدية . لعمري أتظن هذا وتفتكره ولا تنتهز هذه الفرصة الموافقة الثمينة لكي تظهر وتعلن انوار الحق فتضيء اخيرًا بكامل جمالها وبهائها وتنير اعيننا نتوق ان تبصر وترى . أهل تفتكر بمثل هذا الافتكار وتأبى الحضور الى هذه الجمعية الحافلة التي تجتمع اليها نخب العلماء ومُلح الفهماء ومن علا مقامًا وارتفع سموًا في ميادين العلوم والمعارف . لعمري أتفتكر بانك محق وتختشي اذاعة الحق . تفتكر بانك انت الرأس الحقيقي للكنيسة الحقيقية الذي قيل له : ثبّت اخوتك: وتأبى تتميم هذا الفرض الواجب عليك . يا نور العالم . أهل تلبث موضوعًا تحت مكيال . يا معلم جميع المسيحيين ألّا تزال صامتًا . يا راعي القطيع كله يا من قد اقمت لترعى الخراف والاغنام . أتترك هذه الرعية فريسة للذياب . لعمري أما تشفق على انفسنا التي هي بحسب رائك فريسة الكذب والخداع . أهل يليق بك ان تترك اخوتك يتدهورون في لجّة الهلاك وقد مات المسيح لاجلهم واوصاك بهم . لعمري ترى ما الذي تخافه وتخشاه . هب انه اقتضى الامر بان تسفك دماك . أما ان عظم اهمية المشروع

تلزمك بذلك من باب الفروض الواجبة . لكن ليت شعري أهل يوجد ما تخشى منه في مثل هكذا ظروف *

لا تنخدعن منغشاً . فانه يخطر لعقل كل انسان برهان لا يسعك الهرب منه . وهو . اما انك متيقن بان الحق معك ومن ثم يجب عليك من باب العدل والمحبة وجوباً لا مناص منه ان تنادي به وتعلمه للاخرين على قدر وسعك . لا بل يجب عليك ان تنتصر له وتأيده. ونحن الذين بموجب رأيك من اهل الضلال نلزمك بصفة كونك بطريرك مسكوني ان تحضر الى المجمع وتبين لنا الطريق الموصلة الى السماء . او اقله انك تورتاب اذا ما كنت انت واغنامك على ضلال . فحينئذٍ خير نفسك وخلاصها يلزمانك بالاستنارة . لا بل وتلزمك جاعتك بما انك ابوها وراعيها بان تحضر الى المجمع لكي تبدد الشكوك والارتياب التي انما ازالتها تهمهم غايةً . واني اكرر ثانيةً قائلاً . انك واقع بين حدين لا مناص لك منهما . اي انه ان كان الحق معك ولم تحضر المجمع فانك تنقص جوهرياً بالمحبة . وان كان لا حق معك او ترتاب به فلا غرو اذا ما ابيت الاستنارة فانك تضحي نفسك ونفس خرافك. ومن ثم فانك لا تحب الحق ولا تعتبره . بل تحتقره مزدرياً به . فاذاً أتريد ان تحتم بانحطاط مؤبد وهبوط لا دواء له على طائفةٍ يليق بها احسن حظ وقسمة . ليت شعري أما ان هذه الاقطار التي يناح على احوالها ويحق ان يُلتفت اليها أما قد حان اوان قيامها

الروحي والادبي بل والمادي ايضاً *

فلا تتغافلنَّ الرعاة عن واجباتها في هذه الفرصة الشهيرة فان عليهم مسئولية عظيمة ويلتزمون التزاماً شديداً بذلك . لاسيما لان الذين قد خدعوا واضلوا القطيع كانوا رعاة ذوي اغراض واميال . اي نعم انما البطاركة والاساقفة والكهنة هم الذين اجتذبوا وراءهم الى الانشقاق شعباً كلي الطاعة والامتثال . اي نعم هم الذين قد ضبطوه الى الآن في حال بغضة عمياء ضد رومية وابعدوه عنها زوراً وعدواناً . فاذاً الرعاة هم الذين يلتزمون اولاً بان يصلحوا الشر الذي ابدوه وان يكونوا رسل الاتحاد بعد ان كانوا مبدعي الانشقاق وعاضديه .

قيل ان صوالح اولوا الرتب الكنائسية في الكنيسة القسطنطينية انما هي مانع قوي ضد هذا المشروع الحميد . انه ولو سلّمنا بانه يوجد قوم قيّدتهم بالضلال قيود هكذا وطية دنية . مع ذلك انه يصعب علينا لا بل يمتنع ايضاً ان نفترض بانه لا يوجد بين الاكليروس عدد عظيم من اولوا العقول المستقيمة والقلوب الشهمة مستعدين ان يخسروا كل شيء تتميماً لفروض وظيفتهم وتأكيداً لخلاص انفس رعيتهم ومتأهبين غاية التاهب ليسعوا لشعوبهم العزيزة لديهم باحوال احسن واجل ويفتحون لهم عصراً جديداً للعلوم والمعارف . للقداسة والبرّ . للغبطة والمجد *

فهذه هي واجبات الرعية هذه هي الفروض المرسومة عليهم . طوبى ثم الطوبى للذين يعرفونها . فان اكملوها قُل حينئذٍ ان الشرق قد خاص . لكنهم اذا ما خلّوا بتتميم هذه الفروض

المقدسة ، ليت شعري ترى ما يكون واجبكم ، وما يكون غرضكم انتم ايها الاخوة الاعزا الذين لحد الآن افتخرتم باتباع آثارهم وحاربتم تحت لوائهم . ترى ما الذي يجب ان تقولوا لاولئك القواد الاذلا الجبناء الذين يطلبون الهرب من الحرب ، ويبيعون خلاص انفسهم وشرف طائفتهم وسعادة بني جنسهم باثمان هكذا وطية دنية *

لعمري أهل ان كنيسة الروم التي تدّعي بانها هي الكنيسة الحقيقية تخرج وحدها من دائرة هذه الجمعية الاحتفالية التي يجتمع فيها كل الذين يهمّهم خير الشعوب الروحي ، والتي يتداول بها عن اخص المسائل الحيوية بشأن الجمعية المسيحية ، التي بها تقترب ابناء المسيح ليتحدوا اتحاداً مكيناً بايمان ومحبة هذا المخلص الالهي . أهل ان هذه الكنيسة وحدها لا يوجد من يستحضرها في هذه الجمعية المقدسة . فاذاً لا تهتم هي بالانجيل ولا بيسوع المسيح . فاذاً لا يوجد فيها محبة نحو الانفس ولا شوق وتوقان الى الحق . أهل تلبث هي وحدها غير ملتفتة ولا مكترثة باهتمامات حرّكت قلوب اهل النخوة والمروءة . اهل الشجاعة والشهامة من اربع اقطار المسكونة . أهل هي وحدها تأبي الجلوس على هذه الوليمة الاحتفالية المعدّة لمن امتاز عقلاً وذكاءً بين كل النصرانية . وآسفاه . ان كان ذلك كذلك فلم تعد هذه الكنيسة في الحيوة بل انها في حال الموت على انها فقدت المحبة بفقدانها الايمان . فخمدت من عقلها الافكار العالية السنيّة ومن قلبها العواطف الشهمة الرفيعة

فلا مائيّة بأصل هذه الشجرة ولا دم في عروق هذا الجسم المنهوك . فانها بناء قد بُني على رمل ، تحرّكه الاميال البشرية وكان بدون اساس . فلندعها ونخرج منها . فان جدرانها الخربة اوشكت للانهدام وسقفها فريسة الدود القارض كاد يسقط علينا . فلنترك اولئك الرعاة للاجراء الذين يطلبون لا خير رعيتهم الروحي بل راحتهم الخصوصية ومرضاة فخرهم وخير عيلهم الزمني . فان امياه النعمة المحيية لم تعد تجري في هذه الجمعية انه قد نشف نبعها . فلنترك بابل . ونذهب نحو الكنيسة فانها نظير ام حنونة تحبنا وتنشغل بنا وتدعونا اليها وتطلبنا وتفتح لنا ذراعيها . وانها طالما قد ناحت باكيةً على ضلالنا . فمعها وبها وفيها نجد السلام والنعمة والنور والحيوة ويسوع المسيح وحبه . فبما ان رعاتنا لا يهتمون بخلاصنا . فلنخلّص نحن انفسنا وندخل الى تلك الحظيرة التي انما كبرياهم وعجرفتهم اخرجانا منها *

فهذه هي العواطف التي يقتضي ان تلقيها في قلوب كثيرين تلاوة اسطرنا هذه . فنسأله تعالى ان يمكّن هذه المقاصد ويثمر هذه الاصول ويثبّت بنعمته ضعف ارادة اخوتنا الذين ننوح باكيين على شقاهم ويغمّرهم بانعامه ويفيض عليهم سوابغ نعمه الثمينة . فان كنا نحبهم وهم منفصلون عنا بالانشقاق ومبتعدون لاوهام ورثوها بولادتهم . ترى كيف لا نحبهم اذا ما اتحدوا معنا بايمان واحد واستقوا معنا الحيوة من ينبوع واحد لا يفرغ . ذلك الذي تصدر منه مياه الحيوة الحقيقية اعني به قلب

مخاصنا للالهي المسجود له . هذا وثق متأكداً ايها الحبيب صدق مباني احترام واعتبار محبك الصادق *

* الرسالة العشرون *

ايها الحبيب

ها ان ما قد اخذته على عاتقي من الاشغال قد تم وانتهى . لكن ليت شعري هل قد نلت الغاية . ترى أيسوغ لي ان اسألك ايها الحبيب في هل كنت لحسن حظي قد اقنعتك . وهل اني تممت المقتضي واملأت براهيني اذهانك فانارتك وبددت من عقلك الشك والارتياب . لعمري ان كل عقل قويم اذا ما وصل لهذه الدرجة تنتهي المسئلة لديه بلا محالة *

فيخال لي ان الحق ظهر وتلألأ لامعاً كالشمس في رابعة النهار ولم يعد محل للشك والارتياب . على انه امّا انك تلتزم بان تعدل عن الديانة المسيحية او ان تقرّ بالكنيسة الكاثوليكية بانها هي وحدها الكنيسة الحقيقية . فهذا تخيير لا مناص لك منه . لكنه اذا ما بقي بينك وبين الحق ما يوهم غمام الارتياب فلا يبرحنّ من ذهنك بان ذلك انما هو من شروط الايمان . لان من اراد الايمان بشرط ان يتضح الحق لديه اتضاحاً بيّناً ساطعاً لامعاً يرفع كل برقع وحجاب . فانه يلاشي بذلك سمة الايمان ويفقد فضله *

لقد اصاب احد علماء العصر بقوله : ان ضعف الكنيسة الظاهر يغش الكفرة دائماً ويمرّن ايمان المؤمنين : (كوسلين في

كتابه عن سلطان الحبر الاعظم في القرون الوسطى) . ان هذا الكلام المنطوي على معاني دقيقة عميقة تتأكد صحته على اوضح بيان في ايامنا هذه . لعمري كم وكم من الاناس نراهم يشككون بضعف الكنيسة الظاهر . اخبرونا عن يوليانوس العاصي انه بمروره في هذه الاقطار اذ كان ذاهبًا لمحاربة اعداء مملكته كان طاوي كشح البغضة والحنق ضدّ بيعة الله المقدسة. وجد في شبوبية الكنيسة دليلاً ضد الوهيتها فقال نحوها: ما هذا . ليس لك الاّ ثلثماية سنة بالوجود وتدّعين مع هذا بان تحطّي الهتنا عن عظمتهم فيما انه قد انطوت الاعصار والاجيال وتقدم لهم بنو البشر الاكرام حارقين البخور لدى هياكلهم . هذا وانت تعللين امالك بالخلود : يا لفرط خداعه الذميم. مهلاً ايها الرجل . انه عن قليل سوف ينقشع عن عينيك براقع الخداع . فترى ايكما يظفر بالاخر . انت ام ذلك الجليلي *

لكن اولئك الذين لم يشككوا بشبوبية الكنيسة لم يستطيعوا ادراك تلك الاضطهادات الشديدة ضدّها ولا حال ضعفها الظاهر . فقد قال القديس اغوستينوس المبجّل: آلآن يرون الكنيسة مطاوحة من الارطقة فيقولون انها قاربت الموت بل ويباد اسمها مع الدوي . فعن قليل تضمحل المسيحيون فقد مضت ايامهم (عظة رابعة عن صعود الرب) : امّا اهل عصرنا هذا فانهم يرون الكنيسة قديمة الايام هرمة فيقولون . انها ليست لعصرهم . وما هي الاّ على رحيل. فقد تقهقرت ورجعت الى الوراء.

فانها عجوز خرفانة . فتنظيماتها قديمة الايام ولا اعتبار لها .
ومعتقداتها تنحط عن انوار الجيل التاسع عشر وآدابها ممتنعة
الاجراء . ان الكنيسة ضعفت وانحطّت وكادت تموت . لا بل
انها ماتت *

ليت شعري ترى ما الذي نجيب به اولئك الذين
يرون الكنيسة شابةً . وما الذي نجيب به الذين يرونها هرمة .
والذين يرونها ضعيفة ثم والذين يقولون انها ميتة . امّا انا
فاني لا اجيبهم بشيء . لكنه يوجد من هو اعلى مقاماً . فدونهم
واستماع كلامه . قال الجليل اغوستينوس : انه لدى ابراز حكم
الموت على الكنيسة اراهم يضمحلّون والكنيسة ثابتة وطيدة تعلن
قوة العلي لكل الاجيال : اي نعم فيما ان لجّة الابدية تبتلعهم
على التوالي لا تبرح الكنيسة حيّة فتيّة . الكنيسة
تملك وتستولي بمجد وقوة وتتقدم الى ما قدام مستندةً على
ذراع القوي في وسط الاجيال . فتنيرها بتعليم الحق وتقدسها
بشركة النعمة الالهية . قل لي يا صاح . اين هو يوليانوس . اين
هو ذلك العاصي . اين هم اعداء الكنيسة . واين هم مضطهدوها .
اين هم الذين منذ زمان طويل ينادون بفنائها . ها ان
المضطهدين والمغتصبين . الاراطقة والمبتدعين . زارعي الانقسام
والانشقاق . الكفرة والمنافقين كلهم بادوا واضمحلّ ذكرهم . امّا
الكنيسة فلا تزال حيّة فتيّة . وها انها ليست ابنة ثلثماية سنة فقط
بل قد تجاوزت الالف وثمانماية سنة *

لا لعمري ان كنيسة المسيح ليست حديثة السن ولا شابة .

فقد ابتدأت ببداية العالم ومن اسماها الخلود وتأبد القرار .
كلّا ثم كلّا . ان الكنيسة ليست بقديمة هرمة . لان شبوبيتها تتجدد
كل يوم وحياتها لاتنقص بل انها تنمو وتمتد مع الايام . فانها
تستقي من صانعها عزمًا دائماً جديدًا . واذ كانت عديمة الموت
نظيره فانها لا تعرف تشنّج الشيخوخة . كلّا ثم كلّا . ان الكنيسة
ليست بضعيفة . لانها الى الآن قد انتصرت دائماً بجميع
اعدائها المتجددين مع تجدد الايام . كلّا ثم كلّا . ان الكنيسة
لم تمت . على انها قط لم تذهل العالم باظهار قوتها الحيوية
نظير ما فعلت الآن . ولم يجتمع قط ابناؤها وخدامها بمثل
هذا العدد العظيم لدى حبرها الاعظم الجليل . هاك الكنيسة
بشخص بيوس التاسع المحبوب وبلسان المجمع العام تخاطب
الجميع وتظهر نفسها للجميع وتحتضن بحبها الوالدي جميع
البشر . فانها تبتغي سعادة جميعهم . لا غرو ان من لا يراها هو
اعمى . ومن يعرفها ولا يحبها فانه مذنب . ومن لم تكن هي
امه يُناح ويُبكى عليه . نشدتك الله ايها الحبيب . اكفر بكل
تعليم اجنبي عنها . اخلع عنك نير الضلالة وامضِ الى ام
المؤمنين الحقيقية . ادخلنّ السفينة فانما فيها وحدها الخلاص . قال
القديس امبروسيوس المبجّل : لا يشترك بارث بطرس الذين
ليس فيهم ايمان بطرس بل يهدمونه بانقسامٍ اثيم نفاقي : *
وما قد اوضحناه لك الى الآن به تمام الكفاءة وهذا
ختام المقال *

نشدتك الله يا مَن تقف على هذه الاسطر ، كاثوليكيًا

كنت او غير كاثوليكي . وامعن بها النظر واستفد منها *

وانت ايها الرجل الكاثوليكي . اعتبرنّ ما انت عليه من حسن الحظ . واحبب الكنيسة امك . وانت يا ايها الاخ غير الكاثوليكي . ان شقاك لعظيم . لكنه لا يخلو من دواء . فقد دعاك الله اليه . فادخلنّ اذاً حظيرة يسوع المسيح *

يا ايها الاخ الكاثوليكي . اشفقنّ راثياً لحال اخوتنا المنفصلين عنا . لكن حذارِ حذارِ من ان تهينهم وتحتقرهم . فدونك ان ترجّعهم الى الحق بالصلوة وحسن النموذجات . فهذا امر ينطلب منك بل وهو من اخصّ واجباتك . وانت يا ايها الاخ المنفصل عنا لا ترقدنّ متوكلاً على طمانينة كاذبة . اسمع لصوت ضميرك بما لاحظ امر خلاصك . ولا تخشَ الخسارة والعذاب *

يا معاشر الكاثوليكيين وغير الكاثوليكيين لا يبرحنّ من اذهاننا اصلاً . باننا عن قريب نؤدي حساباً مدققاً عن حياتنا لديّان الاحياء والاموات . ان الله يحب الحق . فاذاً فلنطلب الحق بنية مستقيمة . الله يحب القداسة ويمقت الاثم . فاذاً فلنخدمه تعالى بامانة ونشاط ونسأل ابا المراحم الساكن في العلا ان يكلل يوماً ما باكليل الغبطة والسعادة اولئك الذين قد جمعهم على هذه الارض كاخوة اعزاء وضمّهم بايمانٍ واحدٍ ومحبة واحدة . امين *

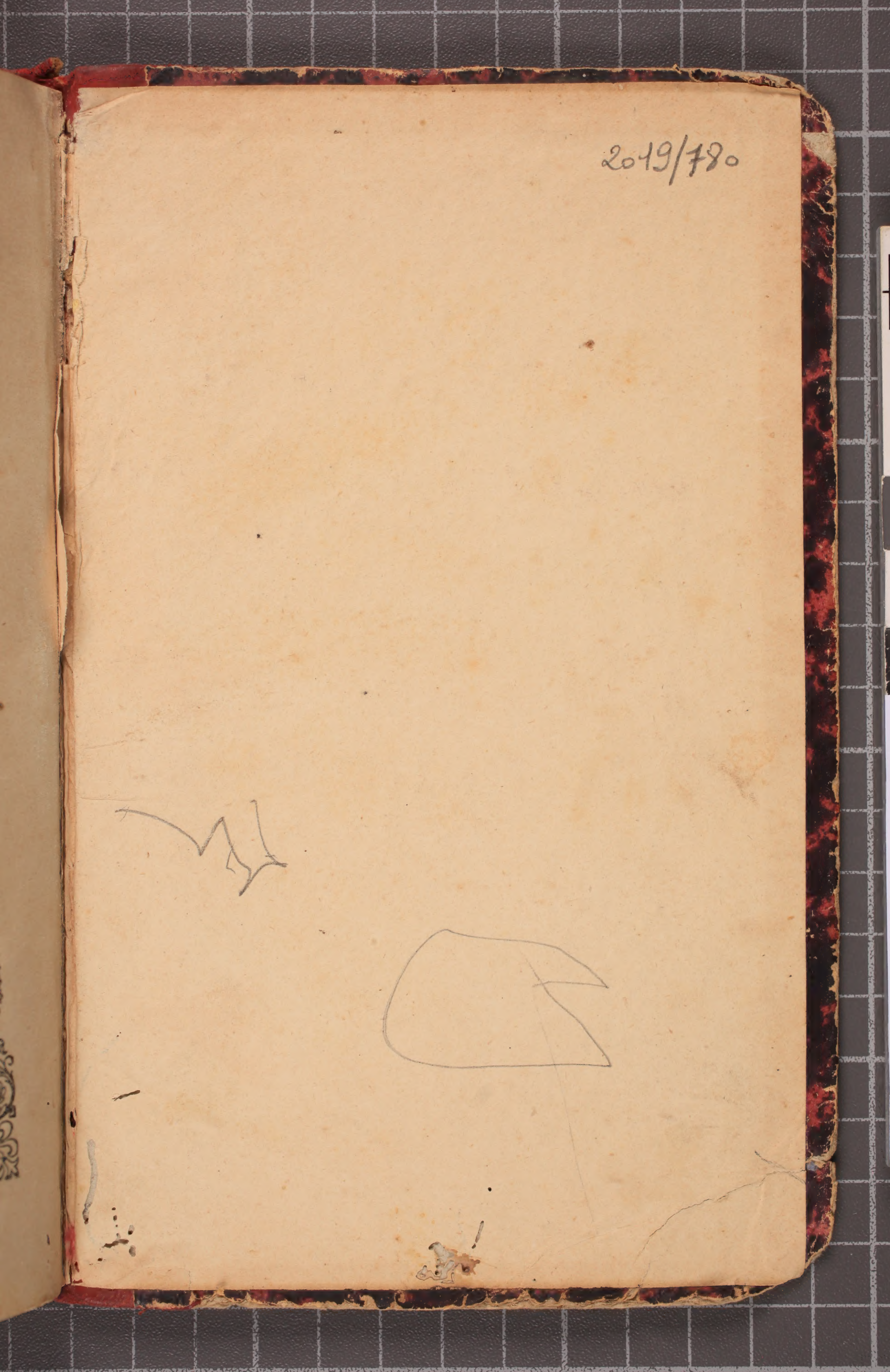


* فهرست الكتاب *

* الكنيسة القسطنطينية بازاء المجمع الفاتيكاني *




USEK






USEK
Pat_00457c2
QPCARD 101 v3

